جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

عنوان المذكرة :

المشروع النهضوي العربي عند عبد الرحمن الكواكبي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

تخصص : فلسفة عربية حديثة و معاصرة

من إعداد الطالبتين :

- إيمان سوكحال
- يمينةً قطا ش

إشراف الأستاذ:

واحك مراد

السنة الجامعية: 2017/2016

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

عنوان المذكرة :

المشروع النهضوي العربي عند عبد الرحمن الكواكبي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

تخصص : فلسفة عربية حديثة و معاصرة

من إعداد الطالبتين :

- إيمان سوكحال
- يمينةً قطا ش

إشراف الأستاذ:

واحك مراد

السنة الجامعية: 2017/2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال سبحانه و تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾سورة المجادلة الآية 11.

و قال أيضا:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾سورة طه الآية 114.

كلمـــة شكـــر

نشكر المولى عزوجل الذي أتم علينا نعمته وعظيم فضله

ومنحنا القدرة والصبر على إنجاز هذا العمل المتواضع

نتوجه بالشكر والامتنان إلى من مد لنا يد العون ولو بكلمة طيبة

لإثراء هذا العمل، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف "واحك مراد" على مساهمته

القيمة بنصائحه وتوجيهاته الصائبة والهادفة

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في تنويرنا وتصويبنا

إلى كل من نحترمهم ونقدرهم، أساتذتنا الكرام من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي

خاصة أعضاء لجنة المناقشة اللذين سيثرون هذا البحث بتصويباتهم وتوجيهاتهم

تحية إلى كل هؤلاء

لهم منا جزيل الشكر وأسمى عبارات التقدير والامتنان

إهـــــداء

إلى من لونت عمري بجمالها وحنانها، وعجز اللسان عن

وصف جميلها وسهرت وضحت براحتها حتى تراني مرتاحة.

وشملتني بعطفها ورعايتها "**أمي الحبيبة**"

إلى الذي أفنى حياته جدا وكدا في تربيتي وتعليمي إلى من كان سندي الروحي

ورافقني في مشواري "**أبي الحبيب**"

إلى من ذقت في كنفهم طعم السعادة إخوتي: فاطمة، وفاء، فتيحة، إكرام، شيماء،

محمد، والكتكوت محمد الصغير.

إلى من قضيت معهن أحلى أيام عمري صديقاتي: خديجة، فاطمة، تكفة، صفية،

حنان، نسرين، شهيرة، غنية، صارة، خديجة، أمينة.

إلى من كان سنداً لي طوال هذا المشوار الذي دعمّني مادياً و معنوياً و لم يبخل

عني بشيء " وليد متيجي"

إلى كل الذين يحبهم قلبي أهدي ثمرة جهدي.

إيمـــــان

إهـــداء

قال الله تعالى: "قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون" صدق الله العظيم

- إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.
- إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة، و نصح الأمة إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.
- إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار **أبي العزيز**
- إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب و الحنان و التفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي، حنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب **"أمي الحبيبة"**
- إلى كل أخوتي، فتيحة، مريم، رشيدة، ربيعة، عائشة.
- إلى زوجي نور الدين وعائلته.
- إلى كل صديقاتي **أمال، إيمان، غنية، حنان.**

يمينـــة

ملخص:

يعتبر عبد الرحمن الكواكبي رائد من رواد عصر النهضة العربية في سوريا، عمل في مشروعه النهضوي الإصلاحي على إيقاظ العربمن سباتهم، و إخراجهم من ظلمات الجهل والتخلف التي يتخبطون فيها، منطلقاً في ذلك من أرضية إسلامية، و ذلك عن طريق مجموعة من المؤلفات و الأفكار الإصلاحية، محارباً استبداد السلطة العثمانية، وقد ركز في مشروعه الإصلاحي على إصلاح المجال السياسي، و المجال الديني،و كان يصبوا من خلال هذه الإصلاحات إلى إقامة الدولة العادلة، والوحدة العربية.كما كان لمشروعه النهضوي صدىً كبير على العالم العربي بأكمله، بحيث لا زال فكره بارزاً لدى المفكرين العرب في زمننا الحالي.

مقدمة

لقد كانت حملة نابليون على مصر نهاية القرن الثامن عشر، بمثابة تحول خطير مسّ التاريخ العربي الحديث والمعاصر. وقد شكلت تلك الحملة كما يصفها المفكرون العرب ، صدمة حضارية على الوعي العربي عصرئذ، إذ وعوا بذلك الفارق الحضاري والتاريخي الذي يفصلهم عن الغرب.

صحيح أن إصلاحات محمد علي باشا كانت محاولة جادة للحاق بالغرب، ولكن صحيح أيضا أنّها حققت إنجازات إيجابية، ولكن من جهة أخرى كانت تحمل بذور فشلها لأنّها لم تتخلص من الاستبداد. وبذلك، حاول العرب فهم ما يحدث في التاريخ، وما يدور حولهم قد يكون هذا الفهم قد جاء في زمن متأخر، ولكن مع ذلك فهو ما يمثل حقيقة وجودهم ويمثل أيضا طموحهم للعودة إلى الريادة التاريخية.

كان السياق التاريخي لبدايات النهضة العربية، التي استيقظت على مدافع نابليون بونابرت منتمياً: إلى التاريخ السياسي العثماني باعتبار أن العرب كانوا ولايات عثمانية ،وبذا اكتسبت النهضة العربية منذ البدء مزيجا غير مفهوم وغموض إذ كانت تعني تحقيق التقدم وتحقيق أيضا الخلاص من الدولة العثمانية، مطلبين أساسيين هما اللذين حرّكا الطموح العربي للنهضة، وهذا المسار الذي تميزت به النهضة العربية في التحرر من العثمانيين وتحقيق التقدم، هو ما يميز في الحقيقة خيبة هذا الفكر وتناقضاته نحو الحماسة والشعر، وكان في طليعة هؤلاء المفكرين عبد الرحمان الكواكبي الذي حارب الظلم والاستبداد، وسعى جاهدا من خلال مؤلفاته أن يفهم الناس حقوقهم وواجباتهم والمطالبة بها إذا ما سلبت منهم.

كما ساهم في قيام حركة النهضة هذه عدة عوامل اختلفت باختلاف المناطق التي ظهرت فيها وكل هذه الجهود التي بذلها مختلف المفكرين العرب والتي كانت تهدف إلى إخراج العالم العربي من أزمة التخلف والركود والجهل إلى مستويات التّطور والتحضر الذي أصبحت تعيشه دول الغرب. ومن هنا توصلنا إلى الإشكالية التالية :

هل استطاع عبد الرحمن الكواكبي أن يجد حلا لأسئلة العرب في النهضة؟

هل خضع الكواكبي إلى تأثيرات عصره الحضارية والسياسية؟ ثم هل كان مشروعه النهضوي استجابة لظروف العصر؟

فيما تمثلت أهم انجازات عبد الرحمن الكواكبي الإصلاحية وما مدى أهمية فكر الكواكبي في الفكر العربي؟

لقد تعددت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ويمكن أن نذكر منها النقاط التالية:

إن اهتمامنا بموضوع النهضة العربية واختيارنا للمصلح والمفكر عبد الرحمن الكواكبي كنموذج يعود بالدرجة الأولى إلى الجهود الجبارة التي بذلها الكواكبي في ميدان الاصلاح والتصدي للاستبداد الذي مارسته الدولة العثمانية، وإلى تغيير الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك، وعملنا على إظهار مختلف العوامل المساعدة على النهضة وأبرز الاتجاهات التي نادت بالنهضة حتى يتبسط فهمها ونخرجها من دائرة الغموض والتعقيد وحتى يتسنى للجميع الاطلاع على الانجازات النهضوية التي قام بها أولئك المفكرين.

كذلك رغبتنا الشديدة للتعمق في موضوع النهضة أكثر والإحاطة بجميع الإصلاحات التي قام بها عبد الرحمن الكواكبي والتي تركت أثرها في العديد من المفكرين، بحيث لازالت تذكر إلى يومنا هذا، بحيث لا يمكن لأي دارس في موضوع النهضة أن يتجاهل تلك الإصلاحات التي ساهمت في إيقاض الأذهان من أجل تغيير تلك الأوضاع التي كانت سائدة في مختلف أرجاء البلاد العربية.

لعل أول ما يدور في ذهن المتطلع لموضوعنا هذا "المشروع النهضوي عند عبد الرحمن الكواكبي" هي الدوافع أو الأسباب التي دفعتنا لنختار عبد الرحمن الكواكبي من بين رواد النهضة الآخرين، فيمكننا أن نقول أن الدوافع تتمثل في:

1-اعتبار عبد الرحمن الكواكبي القدوة التي لابد على كل مفكر الاقتداء بها خاصة بعد التعرف على سيرته الذاتية المعرفة كل الجوانب التي تعكس شخصية ومدى قدرته في التصدي للصعوبات التي واجهته في سيرته هذه والمضايقات التي كان يتعرض لها من قبل السلطة العثمانية والتي جعلته دائم الترحال لإكمال مسيرته.

-الأهمية الكبيرة للمشروع النهضوي الذي أسس له عبد الرحمن الكواكبي ومختلف الإصلاحات التي قام بها.

3-عدم وجود لهذه الشخصية مؤلفات كثيرة بسبب إحراق ومصادرة مؤلفاته الأخرى من قبل السلطات العثمانية وذلك بسب ما كانت تحتويه هذه المؤلفات من المعلومات التي تفضح السلطة المستبدة، فأردنا أن نعرف بهذه الشخصية ونتطرق إلى أهم إصلاحاته.

لعل هذه هي النقاط باختصار التي دفعتنا إلى اختيار موضوع النهضة العربية وشخصية عبد الرحمن الكواكبي كنموذج.

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي في سرد الأحداث التاريخية بتسلسل والمتمثلة في السياق التاريخي للنهضة العربية، كذلك المنهج التحليلي وذلك من خلال عرض وتحليل أهم أفكار الكواكبي الإصلاحية وذلك لتبسيط المعلومات حتى يتسنى للقارئ الإحاطة بجميع جوانب البحث.

تناولنا موضوع المشروع النهضوي العربي عند عبد الرحمن الكواكبي، واعتمدنا في معالجتنا لهذا الموضوع على العديد من الكتب، وقمنا بتقسيم بحثنا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، وتطرقنا في المقدمة إلى التعريف بالموضوع بحثنا وذكر أسباب ودوافع اختيارنا لشخصية عبد الرحمن الكواكبي، أمّا الفصل الأول فكان بعنوان النهضة وسياقها التاريخي يتضمن هذا الفصل مبحثين تطرقنا فيهما إلى تفريق النهضة العربية، وذكر بوادر النهضة والاتجاهات التي نادت بها.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان المشروع النهضوي عند عبد الرحمن الكواكبي قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، تطرقنا فيه إلى التعريف بشخصية الكواكبي وذكر مؤلفاته بالإضافة إلى ذكر أهم إصلاحاته في جميع المجالات بالإضافة إلى أثر مشروع فكر الكواكبي في الفكر العربي.

أمّا الخاتمة فكانت بمثابة استخلاص لأهم النتائج المتوصل إليها في البحث.

اعترضتنا في بحثنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل والتي تمثلت فيما يلي:

انعدام المصادر وذلك لعدم توفر المكتبات على أي نسخة من هذه المصادر، وأيضا واجهتنا مشكلة استخراج الكتب من المكتبات، لأن أغلب المكتبات تحتوي على نسخة واحدة من كل كتاب، وهذا الأمر لم يسمح لنا باقتناء الكتب بحيث قمنا فقط بتصفحها وكتابة بعض المعلومات منها مباشرة، وهذا الأمر كان يأخذ منا الكثير من الوقت.

صعوبة اللغة الفلسفية نظرا لأن كل مفكر وكل فيلسوف وطبيعة لغته فكنا في بعض الأحيان لا نفهم جيدا الفكرة التي يرمي إليها صاحب الكتاب.

بالإضافة إلى مشكل آخر يتعلق باختلاف التواريخ الخاصة بميلاد الشخصية (الكواكبي) وغيرها من الوقائع الأخرى المتعلقة بعصر النهضة مما جعلنا نقارن بين التواريخ في العديد من الكتب، والاعتماد على التاريخ الذي اتفق عليه أغلبية الكتاب.

في الأخير نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا وأرشدنا في إعداد هذه المذكرة.

الفصل الأول:

النهضة وسياقها التاريخي

تمهيد:

قد تضعف أي امة وتتراجع مكانتها بعد أن كانت متطورة وتحتل مركز الصدارة في التقدم والرقي، وهذا ما حدث بالفعل للأمة العربية التي تراجعت منذ القرن السادس عشر إلى غاية القرن التاسع عشر. وهي فترة ليست بقليلة، بحيث في هذه المرحلة التي كانت تعاني فيها الأمة العربية من التخلف والجهل ولم يعد أبنائها يعرفون عن تاريخ أسلافهم إلا القليل، ولم يستفيقوا إلا على وقع الحضارة الأوروبية المتطورة السائرة في الزحف نحوهم بهدف الاستعمار.

فظهرت فئة من أبناء هذه الأمة، والتي فهمت بوضوح ذلك الفاصل العميق الذي يفصل بينهم وبين الغرب المتطور، فزرع في نفوسهم الرغبة في التغيير واللحاق بعجلة التقدم التي سارت عليها أوروبا، وتدارك ما فاتهم ومحاولة منهم إلى استرجاع أمجاد الحضارة العربية الإسلامية التي ازدهرت في العصور الوسطى، بفعل عدة عوامل تمثلت أولى تلك العوامل في دعوة الإسلام، كذلك إحتكاك العرب مع الشعوب الأخرى التي فتحت أوطانها أثناء الدعوة إلى الإسلام، وهذا ساهم بدوره في البناء والتطور، بالإضافة إلى حركة الترجمة وتطور الحرف والتبادل التجاري كل كان له الدور في إرساء معالم التقدم والرقي.

فاستفاق العرب على ذلك الفرق الشاسع بينهم وبين الغرب، فظهر فريق من المفكرين في مختلف بلدان الوطن العربي، محاولين القيام بتغيير تلك الأوضاع التي آلت إليها أوطانهم وذلك عن طريق العديد من الدعوات التي قاموا بها وذلك الكم الهائل من المؤلفات التي كانت في مضمونها تدعوا إلى النهضة أو الصحوة، والتي كان الهدف منها توعية الجمهور العربي أو العامة من الناس بوجه عام وتوعية الحكام بشكل خاص باعتبارهم مسيرو شؤون الدولة. وكل هذه الدعوات كانت تصب في قالب واحد هو تحقيق الوحدة بين المسلمين وإزالة الفروق بين المذاهب الإسلامية كما دعا الإسلام وإخراج العقل من قيود

الجهل والتخلف والأوهام كذلك الدعوة للاجتهاد وتحرير الفكر الديني، والنهوض بالوطن العربي والتصدي للاستعمار الخارجي(الاستعمار الأوروبي) والاستعمار الداخلي الذي مارسه الحكام عن طريق الاستبداد.

ولا شك أن الدعوة للنهضة مرت عبر مراحل مختلفة، و لم تنحصر في بلد معين ولا مع مفكر واحد، بل قامت في العديد من المناطق ومع الكثير من المفكرين. وقد كانت بوادرها الأولى في مصر مع " محمد علي باشا" ولعل أبرز رواد النهضة العربية في مصر هو المفكر" رفاعة الطهطاوي" و"علي مبارك"، كذلك قامت في سوريا لصد الإستبداد السياسي الذي مارسته الدولة العثمانية، ولعل أبرز ممثل لهذه الحركة التنويرية في سوريا هو" عبد الرحمان الكواكبي"، وفي تونس مثلها " خير الدين التونسي" بالإضافة إلى اللبنانيين" بطرس البستاني وفارس الشدياق".وكان الرابط الأساسي في ذلك هو كون العرب أمة واحدة ولها خصائص مشتركة تتمثل في العروبة.

وقد ساعد على قيام حركة التنوير هذه عدة عوامل كان لها الدور في فهم ذلك الواقع المتخلف ودفعت إلى التغيير نحو الأفضل وهذا ما سنتطرق له في عرضنا هذا.

المبحث الأول: السياق المفاهيمي و التاريخي للنهضة:

المطلب الأول: مفهوم النهضة:

أ/ لغة:

وردت لفظة نهضة في المعجم العربي لبطرس البستاني محيط المحيط على وزن "ناهض:[ن، ه، ض]

نَاهَضْتُ، أُنَاهِضُ، ناهض، مناهضة." ناهض كل سلوك مشين": واجه.

وتعني :" ناهض الظلم والاستبداد" حارب، قاوم، واجه.

" يناهض خصومه في كل صغيرة وكبيرة"

ناهضٌ: ةٌ، نهضٌ، نواهض[ن، ه، ض]

" ناهض بأعباء أسرته" قائم بها.

" ناهضة بأمورها" عامل ناهضٌ:" نشيط"

" كل شعب ناهض بكشف عن ماضيه"

" مكان ناهضٌ": مرتفع " ناهضه الرجل: بنو أبيه الذين يهرعون لمعونته ويفضبون له"[1].

وهناك أيضا تعريف آخر للنهضة في لسان العرب لإبن منظور:

"نهض: النهض: الضيم: وقد ذكرت في الضاء وهو الصحيح، جاء في لسان العرب أن:

النهوض : هو البراح من الموضع والقيام عنه.

نهض: ينهض، نهض ونهوض وانتهض أي قام.

وأنهضته أن فانتهض وانتهض القوم وتناهضوا: نهضوا للقتال.

وأنهضته: حركة للنهوض واستنهضته لأمر كذا، إذا أمرته بالنهوض له.

والنهضة: الطاقة والقوة"[2].

بالإضافة إلى هذين التعريفين، هناك تعريف آخر لمصطلح النهضة و الذي ورد في كتاب الخطاب العربي المعاصر لمؤلفه الدكتور محمد عابد الجابري بحيث يقول:

---

(1) بطرس البستاني، **محيط المحيط**، م 9، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص31.

(2) ابن منظور، **لسان العرب، مج 6، دار صادر للنشر، ص 456**

"إن كلمة نهضة من المصطلحات الجديدة في اللغة العربية وقد صيغت من مادة (ن ه ض) لتنقل إلى لغة الضاد مضمون الكلمة الفرنسيةRenaissance منظورا إليه "كمشروع" مستقبل عربي. و هنا تكمن إحدى المفارقات التي تحكم العلاقة بين الفكر الأوروبي ومفاهيمه والفكر العربي الحديث ومصطلحاته المترجمة "[1]

إن مصطلح النهضة "لم يظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن التاسع عشر. هذا في حين أن " الميلاد الجديد" الذي يشير إليه، قد انطلق من إيطاليا ليعم أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وهو يتمثل في قيام حركة تجديدية واسعة وعميقة شملت الفنون والعلوم والآداب حركة اعتمدت إحياء التراث الإغريقي، الروماني مما جعل منها حركة تجديدية بمعنى الكلمة بل "ميلادا جديدا" لقارة ظلت شبه ميتة طوال القرون الوسطى وبكيفية خاصة في القرون" المظلمة" منها وإذن فمصطلح Renaissance قد صيغ بعيدا للتعبير عن شيء قد كان عن واقع تاريخي محدد المعالم والصفات كامل الوجود والمقومات."[2]

ب/ إصطلاحاً:

"النهضة حالة متقدمة على الصحوة، فالنهضة معناها القيام من القعود واليقظة بعد الغفلة أو الاستيقاظ بعد النوم والنهضة بمعنى نهوض الأمة بمسؤولياتها تجاه الأمم الأخرى أو إسهام الأمة الإسلامية في إنتاج التاريخ من خلال فكرها."[3]

ج/ من حيث الاستخدام:

"أطلق على المرحلة التاريخية الممتدة من بداية القرن التاسع عشر حتى العقد الرابع من القرن العشرين، لا من ناحية الزمان بل من جهة الخصوصية التي طبقته فكريا و ثقافيا وقد ساهم في تشكيل هذا العصر مجموعة من المفكرين الإسلاميين عملوا على تشكيل الوعي

[1] محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر**، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية للطباعة والنشر و التوزيع، ط1 بيروت 1982، ص22

[2] المرجع نفسه، ص22

[3] د. بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد، قراءة في فكر النهضة، دار الهادي للطباعة والنشر، ط1، 2003، ص 19.

في الأمة و بلورة العقل القومي نحو القضايا الأساسية التي تحتضنها كأمة بحد ذاتها ودورها في الإسلام ."[1]

المطلب الثاني: بوادر ظهور النهضة العربية:

قال الله تعالى:{ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[2].

شهدت أوروبا في القرن السادس عشر نهضة شملت مختلف مناحي الحياة الفكرية والثقافية والاقتصادية وحتى السياسية، وفي مقابل ذلك كان الوطن العربي يعيش جوا من الانحطاط والتخلف شمل جميع مناحي الحياة، ونظرا لتلك الحالة التي انتهى إليها العرب، كان لابد لهم من تغيير ذلك الوضع الذي كان سائدا آنذاك، بحيث يعتبر القرن الثامن عشر مرحلة الانتقال من عصر النهضة الأوروبية التي ازدهرت بعد العصور الوسطى أي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، والى تدارك التقدم الذي شهدته أمم الغرب، فبدأت تظهر عدة بوادر توحي بقيام نهضة في عدة بلدان عربية، ومع العديد من المفكرين من خلال الأعمال المختلفة التي قدموها في ذلك العصر، وهذا ما جعلنا نتطرق إلى هذه البوادر، ومن خلال هذا فإن النهضة "بدأت مع محاولات التحديث في مصر مع محمد علي باشا[*](1804- 1848) في النصف الأول من القرن19م. "[3]

والذي أحدث تحولا حضاريا كبيرا في مصر من خلال إرساله لفئة من الشباب المصري ليتعلموا في باريس، ويطلعوا على مختلف معالم الحياة الحضارية هناك، وليعودوا بعدها ليفيدوا بلادهم وشعبهم بتلك العلوم التي جمعوها.

---

[1] المرجع نفسه، ص 19.

[2] القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية11.

[*] محمد علي باشا: هو والي مصر حكمها منذ سنة 1805م، اشتهر بالإصلاحات الكبيرة التي ادخلها على الزراعة ، الجيش، والتعليم وقاد الحركة الانفصالية على الدولة العثمانية(1811- 1840).

2 خالد زيادة، عصر النهضة، مقدمات ليبرالية للحداثة، مؤسسة رينا معوض، المركز الثقافي العربي، مؤسسة فريديريش ناومان، ط1،سنة 2000،ص111

"وفي تونس في عهدي الباي أحمد(1837- 1855)، والباي أحمد السابق مع إطلاق التنظيمات(*)في الدولة العثمانية بعد عام1939م.[1]

وبالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا هناك عنصر آخر،" بحيث تتوقف النهضة مع التدخل الغربي في تونس عام1881، وفي مصر عام 1882م وفي سوريا ولبنان مع تعليق الدستور عام 1876م، وبداية عهد عبد الحميد الثاني**".[2]

وقد عرفت فترة عصر النهضة عدة شخصيات مفكرة في مختلف أنحاء البلاد العربية، والتي أحدثت ثورة فكرية ضد قيود الجهل والتخلف السائد آنذاك ولذلك،" يمكن أن نحصر رموز النهضة في مصر بعلمين " رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك"، أما في تونس فإن خير الدين باشا هو المعبر عن تلك التجربة، وهناك أعمال تترجم الفكر النهضوي مثل تخليص الإبريز و المرشد الأمين لرفاعة الطهطاوي، ثم أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخير الدين التونسي، يضاف إلى ذلك كتاب علم الدين لعلي مبارك – بالإضافة إلى أعمال اللبنانيين مثل: بطرس البستاني في موسوعته وفارس الشدياق في أعماله المتعددة"[3].

وقد كان لهؤلاء المفكرين الدور الكبير والمهم في عصر النهضة بفضل مؤلفاتهم وأفكارهم الإصلاحية التي ساهمت في نشر الوعي ومحاولة إحداث صحوة و يقظة لدى الحكام والعامة من الناس على حد السواء.

ومما لا شك فيه إن الانجازات النهضوية كانت متفاوتة في البلدان العربية ضف إلى ذلك أنها قسمت إلى تجربتين، " الأولى ذات وجه عملي في كل من مصر وتونس ، حيث قام الحكام بإصلاحات قانونية، عسكرية ومالية وتربوية، والثانية ذات وجه أدبي ولغوي

[1] خالد زيادة، عصر النهضة مقدمات ليبرالية للحداثة، مرجع سابق، ص111

** عبد الحميد الثاني:(1842- 1919) هو سلطان عثماني، قام بإصلاحات عديدة خلال فترة ضعف الدولة العثمانية.

[2] خالد زيادة، عصر النهضة مقدمات ليبرالية للحداثة مرجع سابق،ص111

[3] المرجع نفسه،ص111.

وفكري، حيث انكب المتنورون في لبنان وسوريا على إحياء اللغة العربية وترويج الأفكار والمفاهيم الحديثة" [1].

وقولنا بان الانجازات النهضوية متفاوتة ذلك نتيجة الأعمال والانجازات المختلفة التي حققت في كل بلد،" ففي مصر حقق محمد باشا بعض المشاريع الكبرى كإنشاء بيروقراطية إدارية وجيش محارب ومصانع ومدارس وشبكة للري. أما في تونس فالانجازات كانت في تحديث القوانين والإدارة والتعليم ، أما في لبنان فان الجهود قامت على أكتاف الجماعات الأهلية، وساهم فيها مسلمون ومسيحيون. وكان لهؤلاء إشعاع من خلال صحفهم ومؤلفاتهم" [2].

كما انه لا يمكننا الفصل بين عصر التنظيمات والنهضة، لأن التنظيمات كان لها الأثر الكبير في المساعدة على الإصلاح، " فبغض النظر عن مصر فان تأثير التنظيمات كان حاسما في المشرق وفي تونس، حيث أشاعت التشريعات الجديدة جواً مساعداً على إجراء الإصلاحات وتبني الأفكار الجديدة" [3].

---

[1] خالد زيادة،عصر النهضة،مقدمات ليبرالية للحداثة، المرجع نفسه،ص112

[2] المرجع نفسه، ص112.

3 المرجع نفسه،ص112.

المبحث الثاني: النهضة عبر التاريخ

المطلب الأول: أبرز الاتجاهات التي نادت بالنهضة:

1/ النهضة الإسلامية:

الإسلام هو الرسالة الخاتمة التي جاء بها سيد الخلق وخاتم الأنبياء" محمد" صلى الله عليه وسلم، وقد جاء الإسلام بتعاليم سمحة ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى النور، بهدف إقامة دولة صالحة، وليقيم دولة متينة قوية تقوم دعائمها على الإسلام، ولكي تتأسس دولة بهذه المقاييس لابد أن يكون أفرادها صالحون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. فالإسلام دين صالح لكل زمان و مكان، ومتى أقيمت دولة على ركائز الإسلام أصبحت في قمة تطورها وازدهارها.

وهذا ما حدث بالفعل قديماً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده، فقد وصلت المملكة الإسلامية ذروة تقدمها و" في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) عادت المملكة الإسلامية إلى ما كانت عليه قبل الفتح العربي، ونشأت فيها دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض، كما كان الحال دائما في تاريخ الشرق، إذ استثنينا فترات قصيرة، وقد تم هذا الانقسام حوالي سنة 324ه- 935م"[1].

وعلى اثر هذا الانقسام أصبحت كل منطقة تابعة لحاكم معين، غير انه، " لم يكن من شأن هذا الانقسام وتعدد أمراء المؤمنين أن يؤدي إلى ضيق معنى الإسلام أو في الوطن الإسلامي، بل صارت كل هذه الأقاليم تؤلف مملكة واحدة، سميت مملكة الإسلام..." [2].

---

[1] آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع(1419ه- 1999م)، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص 15،16.

"... وقامت وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة وهذا عكس ما نشأ عن اتحاد الإمبراطورية الألمانية في القرن التاسع عشر"[1].

من الضروري الّإشارة إلى أن الوطن العربي قد قسم إلى عدة مناطق، ولكل منطقة تسميتها الخاصة، بالإضافة إلى وجود على رأس كل منطقة حاكم يشرف على حكمها وتسيير شؤونها، إلا أن هذه الانقسامات لم تؤثر بشكل أو بآخر على علاقة هذه المناطق ببعضها، بحيث أصبحت هذه المناطق كلها تعبر عن مملكة واحدة، وترفع شعار الإسلام، تدين بدين واحد، وتعبد اله واحد." وكان المسلم يستطيع أن يرتحل داخل حدود هذه المملكة في ظل دينه وتحت رايته، فيها يجد الناس يعبدون الإله الواحد الذي يعبده، ويصلون كما يصلي وكذلك يجد شريعة واحدة وعرفاً واحداً، وعادات واحدة، وكان يوجد في هذه المملكة الإسلامية قانون عملي يضمن للمسلم حق المواطنة، بحيث لا يستطيع أحد أن يسرقه على أي صورة من الصور"[2].

لاشك في أن هذا هو الحال الذي كانت عليه الدولة الإسلامية، لما كانت تطبق تعاليم دينها، فكان يسودها الأمن والاستقرار، وكان المسلم يستطيع أن يجول في كل أرجاء هذه المناطق دون أن يتعرض لأي مضايقات.كما أن الإسلام أيضا قام بتنظيم شؤون الحياة كلها وقضى على كل أنواع الرق والاستعباد.

وقد وصلت الإدارة في أيام المملكة الإسلامية إلى قمة إحكامها وتنظيمها، وقد أشرفت على جميع الأمور المتعلقة بالحياة ونظمتها أحسن تنظيم. ثم إن الخلفاء هم الذين كان لهم الفضل في تطور مملكة الإسلام بفضل التسيير الحسن،" فهؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى ومغزى القرآن النازل بلغتهم وعملوا به واتخذوه إماما، فأنشأوا حكومة قضت بالتساوي حتى بينهم أنفسهم وبين فقراء الأمة في نعيم الحياة وشظفها، وأحدثوا في

[1] آدم متز–الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص16

[2] المرجع نفسه، ص16.

المسلمين عواطف أخوة وروابط هيئة اجتماعية اشتراكية لا تكاد توجد بين أشقاء يعيشون بإعالة أب واحد وفي حضانة أم واحدة"[1].

وبالإضافة إلى دور الخلفاء لابد أن لا ننسى دور العلماء، اللذين ألموا بالعلوم واجتهدوا فيها وأفادوا الناس بها، ف" ترك العلماء ما كانوا قد ألفوا قبل من اتخاذ المعارف وسيلة للتسلية، كما أنهم أصبحوا لا يغالون في حشد المعارف على تنوعها، بل أقبلوا على الدراسة العلمية وعلى تنظيم المعارف، وشعروا بما يجب عليهم من عناية ومحاسبة في تدوينها"[2]. و ما قام به العلماء من اجتهاد وجمع للعلوم ساهموا بذلك في تطوير دولة الإسلام.

وبعد ذكرنا لدور كل من الخلفاء والعلماء، لابد لنا من ذكر دور القضاة في الدولة، لان كل دولة لابد أن يكون لها قضاة يحكمون بالعدل بين الرعية، ويعطون كل ذي حق حقه،" فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القاضي الأعلى للمسلمين، وكذلك كان خليفته من بعده، وكان ولاته على البلاد يباشرون هذه السلطة بالنيابة عنه؛ ثم إن كثرة الواجبات تطلب الاستعانة ببعض القضاة" [3].

ومن دون شك أن النبي عليه الصلاة والسلام هو أعظم وأعدل قاضي عرفته البشرية كلها، والخلفاء من بعده ساروا على نفس دربه لذلك ساد العدل والسلم والأمان في ذلك العصر.

إن القيم السامية التي يحتويها الإسلام، وهذه القيم هي التي سار عليها الصحابة الكرام ومن تبعهم هي التي ساهمت في انتشار الدين الإسلامي في كافة أرجاء المعمورة." وهكذا نشأت في شبه الجزيرة العربية لأول مرة شخصيات فريدة في معدنها تملك نفوسا زكاها الإسلام وقلوبا عمرها الأمان، وعقولا أنارها الإحسان، وضمائر ثبتها اليقين وعلى

---

[1] محمد خالد، طبائع الاستبداد ،مرجع سابق، ص26-27.

[2] آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، مرجع سابق، ص299

[3] المرجع نفسه، ص287.

أكتاف هؤلاء الرجال الذين أباهم الرسول صلى الله عليه وسلم بدأت أولى خطوات البنيان الحضاري الإسلامي الضخم" [1].

فالدين الإسلامي باحتوائه على الفضائل السامية، كون رجالا لم يشهد لهم مثيل في زمننا هذا، وهذه الشخصيات بإتباعها لتلك التعاليم التي جاء بها القرآن الكريم والموجودة في السنة النبوية استطاعوا أن يؤسسوا تلك الحضارة الإسلامية العريقة، وفي زمننا هذا إذا اتبعنا تلك التعاليم وتحلينا بتلك الأخلاق والقيم " يمكننا أن نبني رجالا هم أسس تقدمنا ونهضتنا ،بإتباع نفس المنهج التربوي لصحابة رسول الله صلى عليه وسلم "[2]

ثم إن تخلف المسلمين اليوم، ما هو إلا نتيجة تخلي المسلمين عن تعاليم دينهم، وتخليهم عن قيمهم وأخلاقهم وعدم فهمهم الصحيح لهذا الدين. بحيث أصبحوا يرون أنه لا يتماشى مع عصرهم هذا ثم " إن الاستثمار في الإنسان، خاصة في الجانب الأخلاقي هو القاعدة الأساسية التي تبنى عليها أصول النهضة المادية الشاملة في كل دولة مسلمة معاصرة كما أن التربية الروحية(الأخلاق) والتعليم والثقافة الدينية المستنيرة إلى جانب الثقافة العامة يعتبرون جميعا زادا ضروريا للطاقة الروحية اللازمة لاستعادة البنيان الحضاري من جانب المسلمين، وهو البنيان الغائب عن الدنيا منذ فترة" [3].

لتحقيق نهضة لابد بالرجوع إلى تعاليم ذلك الدين الحنيف، واعتماد الأخلاق كقاعدة أساسية تبنى عليها النهضة، ومتى قامت أي دولة مسلمة بزرع هذه الأخلاق بين شعبها والعمل على تطبيق توجيهات هذا الدين، سوف تستعيد أمجاد تلك الحضارة الغائبة.

---

[1] السفير محمد أمين جبر، **أصول النهضة الإسلامية**، الطريق إلى الدولة العصرية الحديثة، مكتبة الشروق الدولية،1425ه- 2004، للنشر و التوزيع ،ط1، ص109.

[2] المرجع نفسه، ص109

[3] المرجع نفسه، ص109-110.

2/ النهضة الحديثة(محمد علي باشا):

كانت مصر ولاية تابعة للسلطة العثمانية، التي كانت تمارس كل أنواع التسلط والسيطرة، وأجواء الحكم كانت تقتضي خضوع المحكوم للحاكم، وهذا الأمر كان سائدا في مصر مثلما كان منتشرا في مختلف البلدان العربية الأخرى، وكان المصريون يعيشون في بلادهم كالعبيد، وكانوا يقومون بكل أمور الزراعة والتجارة والصناعة فقط، ولم يكن لهم أي دور في الأمور السياسية.

وكانت كل مجالات الحياة تعيش تراجعاً وركوداً، ومن بين تلك المجالات الاقتصاد، فالاقتصاد في مصر لم يكن اقتصادا قويا لأنه كان يعتمد على الزراعة، وكان الفلاح يستخدم في ذلك الآلات القديمة التقليدية وكان يتعرض للعديد من المضايقات.

أما فيما يخص الصناعة فهي لم تكن صناعة متطورة مثلما كان الحال في أوروبا، إنما توقفت فقط على الصناعات اليدوية، والتجارة لم تكن على أحسن حال، والتعليم لم يرتبط إلا بالمدارس الدينية التي لم يكن لديها المدرسين الكافين للتدريس، مما أدى إلى انتشار الجهل والتخلف ولم يكن الأزهر يقدم إلا الأمور السطحية من علوم الدين واللغة لطلابه.

وبسبب هذه الأوضاع المزرية، والظلم الذي تعرض له الشعب المصري، قرر معارضة هذا الظلم عن طريق الثورة لتغيير هذه الأوضاع والتصدي للظلم الداخلي الذي كانت تمارسه السلطة العثمانية، فتوصل الشعب المصري من خلال هذه الثورات إلى عقد اتفاقيات مع الحكام يتعهد فيها الحكام أمام الرعية بإبطال الضرائب وأعمال النهب ودفع الرواتب للعلماء ، لكنها سرعان ما أصبحت مجرد حبر على ورق.

وبعد تقلد محمد علي الحكم سنة 1805م، الذي كان يسعى إلى إقامة دولة مستقلة وقوية، وقد كانت الحضارة الأوروبية قد تركت أثرها عليه، لذلك أراد إعادة بناء مصر لتواكب التطور والتحضر الذي شهدته الدول الغربية ولتكون أقوى دولة عربية، فقام بالعديد من الإصلاحات في كافة المجالات منها:

أ/ الإصلاحات الإدارية:

لقد شهدت الإدارة في مصر في مرحلة حكم محمد علي باشا تطورا ملحوظا، بحيث قام محمد علي باشا بـــ " تقسيم البلاد إلى مديريات سبعة(07) لكل منها مدير، أربعة في البحري وثلاثة في الوجه القبلي، والمديريات قسمت إلى مراكز وأقسام وقرى، ويرأس المأمور المركز، والناظر القسم، والشيخ القرية. أما القاهرة ودمياط ورشيد والسويس والإسكندرية والمدن المهمة يحكمها حاكم، ويقوم المدير بتنفيذ أوامر الباشا ويشرف على الري وأعماله، والمأمور يراقب الزراعة وجمع الأموال والمحاصيل وإرسال الجنود للخدمة العسكرية".[1]

هذه التقسيمات التي أقامها محمد علي، وتعيين على رأس كل مركز أو قسم أو قرية شخص يتولى زمام الأمور فيها وقد اختلفت تسميات ورتب كل شخص، وهذه الإصلاحات من شأنها تعزيز نفوذ وقوة دولته.

كما أعاد أيضا تشكيل النظام المالي والإقليمي،" وقد كانت أعمال الحكومة المركزية في عهد محمد علي تتم على مستويات فهناك مجلس أو أكثر للمشورة برياسة النظار، وهناك أيضا إدارات بيروقراطية(دواوين) يرأسها أيضا نظار، وكانت المجالس والدواوين يعاد تنظيما دوريا ويختلف في العدد لتلائم حاجات الإدارة"[2].

ولقد تطلب تكوين الجيش الجديد إقامة نظام للإدارة العسكرية لم تعهده مصر من قبل، كما تطلب بناء الأسطول وتطوير مدارس الحكومة وتنمية التجارة والصناعة وتأسيس جهاز حكومي يقوم بالإشراف على كل هذه المسائل.

---

1 أسماء بن حركات، مليكة بن حركات، النهضة العربية في مصر محمد علي نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماستر/العلوم الإنسانية، تخصص الظاهرة الإستعمارية في الوطن العربي، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة-2014،2015،ص03

[2] المرجع نفسه، ص04.

لقد أقام محمد علي عدة مجالس لمناقشة أمور الدولة والمشورة وتشريع القوانين وإصدار التعليمات المتعلقة بمصالح الدولة بالإضافة إلى إنشاء الدواوين المرتبطة بعدة مناصب فهي على شكل وزارات وكان يقوم بمراقبة هذه الدواوين.

ب/ الإصلاحات العسكرية:

إن حلم محمد علي في تكوين دولة متطورة وقوية تضاهي دول الغرب، كان لابد لقيامها أن يكون لها جيش قوي يحافظ على أمنها واستقرارها،" لذا اهتم بتطوير وإنشاء جيش على النمط الأوروبي الذي اعتبره دعامة أساسية في ترشيح التكوين السياسي المصري وبناء دولته الحديثة كوسيلة فعالة في توسيع الامتداد على أطراف عديدة، فنجح في تطوير جيشه العربي وتقوية أسطوله البحري إذ ادخل الأسلحة الحديثة وطبق الأوروبية مستفيدا من خبرات فرنسا لهذا الخصوص" [1].

إن تأثر محمد علي بالتطور الذي شهدته أوروبا في كافة الأصعدة جعله يستعين بتجربة الغرب وتطبيقها في بلاده حيث قام بإنشاء جيش على النمط الأوروبي واستخدام الأسلحة الحديثة ليبسط نفوذ بلاده في كافة الأرجاء.

ومن بين الأعمال التي قام بها أيضا هو تكوين جيش من غير المصريين واستخدام المصريين كيد عاملة، وعمل على أن تكون القيادة للأتراك وبفضل الاعتناء الكبير والأولوية التي أعطاها محمد علي للجيش أصبحت مصر تملك أقوى جيش في البلاد العربية بحيث" ارتفع تعداد الجيش المصري عام1839م إلى 50 ألف جندي وتحسنت الأسلحة الخفيفة والمدافع، وأنشئت المدارس الحربية للمشاة والفرسان والمدفعية وأركان الحرب البحرية، وشارك في هذا الجيش كل الطوائف المصرية بحيث أصبح جيشا وطنيا لمصر" [2].

---

[1] مليكة بن حركات، أسماء بن حركات، المرجع السابق، ص14

[2] المرجع نفسه، ص17.

وبسبب ارتفاع عدد الجيش وتطور الأسلحة الحربية واكتساب الجيش لمهارات الحرب والقتال" أدى هذا إلى نجاحه في عدة معارك خاضها المصريون تحت إشراف محمد علي باشا منها فتح السودان عام1820-1822م حيث كانت دوافع هذا الفتح إحضار جند للجيش من أهل السودان ومطاردة المماليك الفارين للسودان" [1].

كما عمل على تأسيس عدة مدارس حربية لتعليم الجيوش وتكوينهم لمواجهة أي خطر والتصدي له.

ج/ الإصلاحات الاقتصادية:

إن طموحات محمد علي في تأسيس دولة قوية لم تتوقف فقط على الإصلاحات الإدارية والعسكرية التي قام بها، بل قام أيضا بإصلاحات أخرى في المجال الاقتصادي والاجتماعي، وذلك بهدف تعزيز نفوذ وقوة هذه الدولة.

ففي المجال الاقتصادي قام محمد علي بتطويره بعدما شهده هذا المجال من تدهور في مرحلة سابقة،" وقد ادخل نظاما اقتصاديا جديدا في البلاد مبنيا على سياسة الاحتكار وهي قيامه بتحديد أسعار بيع وشراء المحاصيل وتحديد أثمان المصنوعات"[2].

ولتطوير الاقتصاد اهتم بشكل اكبر بالزراعة بحيث، " أدخل تغيرات على نظام التملك، فألغى نظام الالتزام وأصبح الفلاحون جميعا كما عبروا في رواية الجبرتي" فلاحين الباشا" أي أصبح الباشا بمثابة ملتزم كبير هو وحده الذي يتصل بالفلاحين، ويجني منهم المال المقرر على الأرض ويفرض عليهم الخطط الخاصة التي وضعها لاستغلال الأرض" [3].

---

[1] مليكة بن حركات، أسماء بن حركات، المرجع السابق، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص25

[3] المرجع نفسه، ص26.

وبإلغائه لنظام التملك واتصاله المباشر مع الفلاحين قام بخطوة مهمة في رفع مستوى الزراعة وإنجاحها، وهو أيضا أولى اهتمامه بزراعة بعض المحاصيل مثل غرس أشجار التوت والزيتون وزراعة القطن والأفيون.

واهتم أيضا بالصناعة بعدما كانت الصناعات اليدوية هي السائدة في مصر، إلا أن حلم محمد علي كان إنشاء صناعة حديثة، " وذلك بتحويل المواد الأولية في مصر إلى مواد مصنعة وبيعها في الأسواق الخارجية[1].

وقام بإنشاء عدة مصانع وذلك أدى إلى ارتفاع اليد العاملة، وهذه الإصلاحات التي قام بها محمد علي فيما يتعلق بالزراعة والصناعة هذا بدوره أدى إلى ازدهار ونشاط حركة التجارة بين مصر والدول الأوروبية.

د/ الإصلاحات الاجتماعية:

إن الإصلاحات التي قام بها محمد علي في جميع المجالات، ساهمت بدورها في تغيير أوضاع المجتمع المصري إلى الأفضل، وسمح بفتح مناصب الشغل في العديد من المجالات، وبسبب إرساله للبعثات العلمية للتعلم في أوروبا هذا الأمر أدى إلى تكوين فئة من المثقفين في مصر والتي ساهمت في محاربة الجهل والأمية. بالإضافة إلى بناء المدارس وبالتالي قام محمد علي بالقضاء على الأنظمة التقليدية، فشهدت مصر في عهده تطورا وازدهارا في كافة المجالات جعل منها أرقى دولة عربية في ذلك العصر.

المطلب الثاني: النهضة عند المفكرين العرب:

لاشك أن فكرة النهضة أو التقدم هي المسألة التي دفعت أغلب المفكرين العرب في القرن التاسع عشر إلى محاولة الإجابة عن السؤال الذي كان يؤرقهم، حول تقدم الغرب و تأخر العرب، فساهموا بأفكارهم الإصلاحية إلى محاولة النهوض بالعالم العربي وإرجاع الريادة والتقدم للوطن العربي الإسلامي، باعتبارها كانت ملكا له في وقت مضى.

[1] مليكة بن حركات، أسماء بن حركات، المرجع السابق، ص31.

ومن ابرز المفكرين العرب والمسلمين اللذين حملوا على عاتقهم مسؤولية الإصلاح في كافة المجالات، "رفاعة الطهطاوي"و "خير الدين التونسي" اللذان أحدثا تغيرات وتحولات في ظروف وأحوال مجتمعاتهما.

1/ ليبرالية الطهطاوي:

الطهطاوي* هو عالم ومفكر عربي، وهو احد رواد عصر النهضة العربية، عاش في باريس خمسة سنوات، من خلالها " أتقن اللغة الفرنسية واطلع على التاريخ والفلسفة الإغريقية والمنطق، ودرس سيرة بونابرت وتعلم شعر راسين والعقد الاجتماعي لروسو وغير ذلك من العلوم والمعارف، وقد تأثر الطهطاوي كثيرا بما رآه في فرنسا بما أطلق عليه عصر التنوير الفرنسي"[1]

فبإتقانه للغة الفرنسية، وإطلاعه على علوم الغرب استطاع أن يكون لديه رصيدا هائلا من المعارف، التي أحدث من خلالها عدة تغيرات، كذلك تأثر الطهطاوي ببعض الفلاسفة والمفكرين الغرب أمثال " جون جاك روسو" و"منونتيسكيو"، بحيث يظهر تأثره بروسو من خلال الأفكار التي قرأها في العقد الاجتماعي في نظرته إلى الشعب الذي يجب عليه أن يشترك في عملية الحكم، كذلك فكرة روسو التي مفادها أن الشرائع لابد أن تتغير بتغير الظروف" فهو يعتقد أن ما كان من الشرائع يصلح لزمان ومكان قد لا يصلح لزمان و مكان آخرين" [2].

وتأثره بمونتيسكيو يتعلق" بفكرة الأمة التي استفادها من مونتيسكيو الذي ألح على أهمية الظروف الجغرافية في تكوين الشرائع"[3].

---

[1] د بلال نعيم،الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد-قراءة في فكر النهضة،دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع،ط1،سنة 1425ه،2004م،ص59

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] المرجع نفسه، ص59.

ومن خلال هذا نرى أن السنين الخمسة التي أمضاها الطهطاوي في فرنسا، كانت لها أثر كبير في حياته، وذلك بتأثره بمفكرين غربيين، وإطلاعه على مختلف جوانب الحياة الفرنسية، وهذا ما دفعه إلى تأليف كتاب بعنوان تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز" وفيه قدم ملاحظات طريفة وصادقة حول الشعب الفرنسي من حيث الآداب والمساوئ، فهو من حيث الايجابيات رأى فيهم الوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وقلة الخيانة والنظافة والاهتمام بتربية الأولاد والسعي للتغيير في الأمور الخارجية مع الثبات في المواقف والآراء، ولكنه إلى جانب هذه الآداب رأى فيهم أنهم اقرب إلى البخل وأن رجالهم عبيد للنساء"[1].

فهذا الكتاب" يعد أول نافذة يطل منها العقل العربي على الحضارة الأوروبية الحديثة"[2].

وبعد عودته إلى مصر عمل في عدة ميادين، وقام بالعديد من الإصلاحات، أهمها مساهمته في " إقامة النظام التربوي الحديث في مصر، ووضع عدة مؤلفات عن تاريخ مصر، ونشر كتبا تربوية أهمها كتاب " المرشد الأمين للبنات والبنين" وكتاب عن المجتمع المصري تحت عنوان" مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية" [3].

وبعد عرضنا لبعض المقتطفات من حياة رفاعة الطهطاوي ومؤلفاته، لابد لنا أن نتطرق إلى أهم الأعمال والقضايا التي عالجها، والتي كان لها الأثر البارز في محاولة تغيير الواقع الذي كان سائدا آنذاك، وتحقيق صحوة لدى الحكام والعامة من الناس من أجل اللحاق بعجلة التقدم التي سارت عليها أمم الغرب. ومن أهم هذه القضايا التي عالجها:

---

[1] بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد- قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص60.

[2] ثائر الحلاق، محاضرات في الفكر المعاصر" قضايا وأعلام، دار العصماء للطباعة والنشر، ط1 ،1435 -2014 ، ص140.

[3] بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد – قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص 61

أ/ الدولة الحديثة:

الطهطاوي من خلال تأسيس فكرته عن الدولة، تطرق في هذه الفكرة إلى طرفان هما الحاكم والمحكوم(الشعب)، وتكلم عن الحاكم الذي يعتبر أعلى سلطة في البلاد، والذي لابد عليه أن يتقيد ببعض القوانين أثناء ممارسته لسلطته، وهي قوانين الشريعة باعتبار" أن اصل فكرة الطهطاوي عن الدولة لم يقتبسها من الغرب وإنما كانت إسلامية، فهو كان يرى أن للحاكم السلطة المطلقة إلا أن ممارسته لهذه السلطة يجب أن يحد منها احترامه للشريعة ولحراسها والمقصود بحراس الشريعة هم العلماء وبالتحديد علماء الدين"[1].

فالطهطاوي في نظره أن الدولة تتطور وتزدهر إذا ما كان حاكمها يسير وفق قوانين الشريعة، واحترام علماء الدين، والأخذ برأيهم والتشاور معهم فيما يتعلق بأمور الحكم، " أما في موضوع الشعب، فبالرغم من إيمانه بضرورة أن يمارس الشعب دوره في أمور السياسة، إلا أنه لم يكن يجد في خصوص الوضع المصري أن حكم الشعب يمثل حلا لمشاكل مصر التي كانت محكومة من قبل رجل أوتوقراطي، وهذا الواقع لعله الأنسب وان كان بحاجة إلى إصلاحات وليس تغييرا شاملا" [2].

ولعل العلاقة القائمة بين الحاكم والشريعة لابد أن يخضع فيها الحاكم للشريعة، وهذا ما أشرنا إليه سابقا " فقد اعتبر الطهطاوي أن الشريعة فوق الحاكم وهو يلجأ إلى تفريق مونتيسكيو بين السلطات الثلاث" [3].

أيضا قام الطهطاوي بتقسيم المجتمع إلى أربعة طبقات وهي: " (الحاكم، رجال الدين، الجند، أهل الإنتاج الاقتصادي) وقد اعتبر الطهطاوي أن للطبقة الثانية أي رجال الدين دوراً في الحكم حيث يجب أن يحترمهم الحاكم ويأخذ برأيهم" [4].

---

[1] بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد– قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص 61

[2] المرجع نفسه، ص61.

[3] المرجع نفسه، ص62.

[4] المرجع نفسه، ص62.

فهذا التقسيم الذي أقامه الطهطاوي، وإعطائه الدور الأهم لرجال الدين لم يكن عبثاً، فدمج رجال الدين في أمور الحكم يساعد على اتخاذ القرارات السليمة التي لا تتعارض مع قوانين الشريعة، وبالتالي تأسيس دولة إسلامية متقدمة ومزدهرة.

أما في موضوع علاقة الأمة بالحاكم ، فقد قال الطهطاوي بان كلا الطرفين أي الحاكم والمحكوم(الأمة) مرتبطان، بحيث لابد على الأمة أو الشعب احترام الحاكم، وفي المقابل " الحاكم يجب أن يحاول إرضاء الناس ضمن الحدود التي تفرضها عليه طاعة الله سبحانه وتعالى[1].

ب/ مكانة الشريعة عند الطهطاوي:

من المعروف أن للعلماء الدور الكبير والمهم في أية دول، وذلك بفضل الإسهامات الفكرية والعلمية التي يقدمونها، والتي بدورها تساهم في تطور الدول ورقيها، وهذا ما دفع بالطهطاوي إلى إعطاء أهمية بالغة لدور العلماء، والى طبيعة الشريعة، ويقصد الطهطاوي هنا بالعلماء رجال الدين اللذين وصفهم بالمثقفين "وهذا المصطلح الذي هو اعم من رجل الدين أو يشمله مع إضافة الوعي العام فقد كان الطهطاوي من المطلعين على الشرع" [2]

" وقد نادى الطهطاوي بضرورة أن يتكيف الفقه وفقا للظروف الجديدة معتبرا ذلك التكيف أمرا مشروعا" [3] بدليل أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

" غير أن الطهطاوي كان أول من خطا خطوة في هذا السبيل مؤكدا أن لا فرق كبير بين مبادئ الشرع الإسلامي ومبادئ القانون الطبيعي التي ترتكز عليها قوانين أوروبا الحديثة .وهذا ما يتضمن القول بإمكان تفسير الشريعة الإسلامية تفسيرا يتفق مع حاجات

---

[1] بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد-قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص62.

[2] المرجع نفسه، ص 63.

[3] لطيفة عميرة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان،2015، ص27.

العصر .يستنتج الطهطاوي أن من واجب العلماء تفسير الشريعة على ضوء الحاجات الحديثة، أي عليهم أن يتعرفوا إلى العالم الحديث وبالتالي أن يدرسوا العلوم التي ولدها العقل البشري" [1].

ومن خلال هذا نلاحظ أن نظرة الطهطاوي إلى الشريعة، وضرورة تماشي الفقه مع الظروف الحديثة، وذلك من خلال اجتهاد العلماء وإطلاعهم على مختلف العلوم في هذا الموضوع ، دون المساس بقواعد الإسلام أو الشريعة وهذا بالطبع هو الدور الذي حاول انسابه إلى العلماء ورجال الدين أو ما سماهم بالمثقفين". حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع" [2].

ج/ تعليم المرأة:

من المواضيع بالغة الأهمية التي تطرق إليها الطهطاوي، موضوع تعليم المرأة باعتبارها العنصر المهم والمؤسس للأسرة والمجتمع بصفة عامة، بحيث أعطى أهمية كبيرة لتعليم المرأة، وطالب بإدماجها في مجال العمل، والمساواة بينها وبين الرجل في مجالي التعليم والعمل "فدعا لمساواتها بالرجل إلا في ذلك الفرق اليسير الذي يظهر في الذكورة والأنوثة وما يتصل بهما، وطالب بتعليمها منذ عام1836م [3]." وسبق بذلك دعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة بخمسين عاماً، فقد كان صاحب أول دعوة لتعليم وتربية البنات، وفتح أول مدرسة نسائية، وهي" المدرسة السنية "ودعا إلى وجوب السماح للمرأة بالعمل وتحصيل العلم" [4].

---

[1] لطيفة عميرة، **سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري**، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان،2015، ص27.

[2] حديث شريف،(رواه مسلم).

[3] ثائر الحلاق، محاضرات في الفكر المعاصر "قضايا و أعلام"، مرجع سابق، ص171.

[4] إسماعيل إبراهيم، شخصيات **صنعت التاريخ في البطولات والفداء والنهضة الفكرية** ، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ط1 ، ص 147.

فدعوته لتعليم البنات، والمساواة بين المرأة والرجل في العمل والتعليم بارزة من خلال تأثره بما رآه في أوروبا، وهو أيضا رأى أنها فكرة لا تتعارض مع الشريعة، لذلك دعا إليها، كما أن تعليم المرأة يحقق عدة أهداف، لأن " تعليم البنات ضروري لتحقيق ثلاثة أهداف :الزواج المتجانس، تربية الأولاد تربية صالحة، تمكين المرأة من تعاطي العمل أسوة بالرجل، كل في نطاق مؤهلاته وتجنيب النساء فراغ حياة النميمة في الحريم" [1].

فتعليم المرأة يحقق عدة أهداف ، وبدوره يساهم في تطور الدولة ورقيها. فقد "اعتبر احترام المجتمع للمرأة، و إعطائها حقوقها من معايير التمدن والتحضر في المجتمع" [2].

د/ الآخر عند الطهطاوي:

أما فيما يخص نظرة الطهطاوي إلى أوروبا، فهي لم تكن نظرة سياسية على أساس أن أوروبا تشكل خطرا سياسيا على الوطن العربي، بل نظر إليها نظرة علمية على أساس التقدم، ودعا المسلمين إلى الأخذ بالعلوم حتى وإن كانت من الغرب." فقد دعا إلى مخالطة الأوروبيون والتفاعل مع حضارتهم والاقتداء بهم والأخذ عنهم فيما لا يخالف الدين والشريعة"[3].

فهو يحاول أن يوقظ العرب من سباتهم وغفلتهم، ويرى أنه لا خطأ من الاتجاه إلى الأخذ بالعلوم الغربية، بدليل أن هذه العلوم كانت في وقت مضى ملكا للمسلمين، وأوروبا قامت بتطويرها وحققت نهضة وازدهاراً . والآن لا عيب أن نعتمد على علوم الغرب في تحقيق نهضتنا.

كما أنه رأى أن أوروبا لا تشكل خطرا سياسيا، إنما تشكل خطرا أخلاقيا على الوطن العربي،" فقال إن الفرنسيين لا يؤمنون سوى بالعقل البشري أي ماديون، فهم مسيحيون

---

[1] لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص147.

[2] ثائر الحلاق، محاضرات في الفكر المعاصر "قضايا وأعلام"، مرجع سابق، ص171.

[3] المرجع نفسه، ص170.

بالاسم والدين عندهم هو فقط الإرشاد إلى الخير والى الشر، أما عمارة الدنيا والبلاد والكون فهي خاضعة لعقول الناس والبشر" [1].

كما أنهم أعطوا لحكامهم أهمية عظيمة ، ومكانة عالية، تصل إلى حد المبالغة " لذا كانوا يقولون إن عقول حكمائهم أعظم من عقول الأنبياء، وبالرغم من نظرته السلبية إلى هذا الأمر إلا انه لم يعتقد بالمنافاة بين هذه النظرية الوضعية وبين مبادئ الإسلام إذا ما فهمت فهما صحيحا "[2].

ومن خلال هذا، يظهر لنا أن رفاعة الطهطاوي هو من رواد الفكر التوليفي*، " فهو يعتبر أن مبادئ الإسلام لا تتنافى مع مبادئ القوانين الوضعية المعتمدة في أوروبا" [3].

وبعد العرض الذي قدمناه، حول أهم أفكار رفاعة الطهطاوي الإصلاحية، يمكننا أن نقول بأن الطهطاوي هو بحق مفكر عظيم. بحيث " تقاس عظمة الرجال بقدر ما يحدثونه من تحولات في ظروف مجتمعاتهم، وهذا ما فعله رائد عصر التنوير، الشيخ "رفاعة رافع الطهطاوي "الذي حرك مياة الفكر المصري والعربي الراكدة، وأخرجها من أسر التقليد والتسجيل إلى رحابة الحركة والتحديث والتفكير في الغد" [4].

---

[1] بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد، قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص67

* الفكر التوليفي: كل فكر يقوم بجمع بين الافكار وصهرها في نسق فلسفي واحد.

[3] بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد– قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق ، ص67.

[4] د إسماعيل إبراهيم، شخصيات صنعت التاريخ في البطولة و الفداء والنهضة الفكرية، المرجع السابق، ص 143

2/ إصلاحية خير الدين التونسي*:

خير الدين التونسي هو مفكر عربي، وأحد رواد عصر النهضة العربية شغل عدة مناصب في الدولة التونسية، وكانت له عدة أعمال إصلاحية كما انه ألف العديد من الكتب أهمها كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "وعندما ألف هذا الكتاب كان على علم أنه يسلك نفس طريق ابن خلدون الذي كان في عصر سابق، باعتبار أن كلاهما قد كتبا في فترة كانا فيها في عزلة عن السياسة وكلاهما" عالجا قضية نشوء الدولة وسقوطها، إلا أن كل من ابن خلدون وخير الدين التونسي كانت له طريقته ونظرته الخاصة لهذه القضية حيث أن ابن خلدون عالج في كتابه" تاريخ الدول الإسلامية"، إلا أن خير الدين التونسي بالإضافة إلى ذلك عالج أيضا "تاريخ الدول الأوروبية وتركيبها السياسي وقوتها العسكرية[1]

فهو بذلك يكون قد اطلع على الحضارة الغربية ، وبالتالي سلك نفس طريق الطهطاوي في كسر الحاجز الذي يمنع تطلع العرب إلى حضارة الغرب وثقافته، والأخذ بالأمور التي لا تتعارض مع الشريعة، وقد شرح في مقدمة كتابه " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "أن ما حمله على وضع كتابه مقصدا:"الأول حمل أصحاب الغيرة والهمم من رجال الدين والدنيا على السعي في سبيل كل ما يؤول إلى خير الأمة الإسلامية، وهو مدينتها من توسيع لحدود المعرفة وتمهيد للسبل المؤدية إلى الازدهار مما لا يتم إلا بفضل حاكم صالح. والثاني إقناع العدد الغفير من المسلمين الذين غرس في أذهانهم النفور من كل

---

* خير الدين التونسي(1237- 1301)ه (1822- 1889)م ينتمي إلى قبيلة اباضة ببلاد الشركسي، ولد بالجنوب الغربي من جبال القوقاز، وبعد وفاة والده في إحدى الوقائع العثمانية ضد روسيا بيع هناك في الرقيق، فاشتلاه مبعوث أحمد باي، باي تونس وقادم به إلى تونس وله من العمر آنذاك 17 عاما ليربي في قصر الباي، وهناك تعلم القراءة وفرائض الدين وفنون السياسية والعسكرية وأجاد اللغة الفرنسية إلى جانب العربية والتركية وتدرج في المناصب حتى أصبح الوزير الأكبر في البلاد، كانت له عدة مؤلفات أهمها" قوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" وله كتابات باللغة الفرنسية جمعت في مذكرات، سافر لعدة بلدان كأوروبا والدولة العثمانية.

[1] د، لطيفة عميرة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري(1889-1940)م، دار الأيام للنشر و التوزيع/عمان-الأردن،ط1،2015،ص28

ما يصدر عن غير المسلمين من أعمال ومؤسسات بضرورة انفتاحهم إلى ما هو صالح ومنسجم مع الدين الإسلامي من عادات إتباع الديانات الأخرى" [1].

ففي المقصد الأول يحاول خير الدين التونسي أن يولي العلماء من رجال الدين والدنيا أهمية الاجتهاد والبحث في كل العلوم والأمور التي تخدم صالح الأمة الإسلامية من اجل الدفع بها إلى التقدم والرقي، أما في المقصد الثاني فهو يقوم بتوجيه المسلمين اللذين ظل فكرهم منغلق ويحاولون الابتعاد عن ما هو من الغرب، بضرورة الأخذ من عادات وعلوم الديانات الأخرى إذا كانت تصلح وتنسجم مع الدين الإسلامي، وإذا لم تكن تتنافى مع معالم الشريعة الإسلامية وكل هذا من اجل الوصول إلى نقطة واحدة وهي معرفة أسباب قوة المجتمعات الغربية، والإطلاع على مؤسساتها وأفكارها للنهوض بالدولة الإسلامية وتقويتها وذلك من خلال "اقتباس الأفكار والمؤسسات عن أوروبا وإقناع المسلمين المحافظين بأن ذلك ليس مخالفا للشريعة بل منسجما مع روحها" [2].

وهو" لا يدعو بطبيعة الحال إلى الاستسلام والانهزام أمام هذا التيار الجارف وإنما طلب من قومه أن يقفوا منه موقفا انتقائيا، فترخص ما يتعارض مع دين الإسلام ونأخذ من أوروبا تنظيماتها السياسية المؤسسة على العدل والحرية وهي السبب في تقدمهم" [3].

وهو يحول أن يبين أن تقدم أوروبا ليس قائما على أساس أنها مسيحية، " فالمسيحية دين يستهدف السعادة في الآخرة، لا في الدنيا، ولو كانت هي سبب التقدم الدنيوي لكانت دولة البابا أرقى الدول لا أكثرها تأخرا في أوروبا،"[4] وهنا يشير بوضوح أن ما يجب على الأمة الإسلامية أخذه وتبنيه هو" أسباب التقدم الأوروبي"[5] "وليس الدين المسيحي وبل عليها فقط أن تتبنى ما يعادل المؤسسات الإسلامية القديمة من مؤسسات حديثة"،[6]

---

[1] لطيفة عميرة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري، مرجع سابق ، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص30.

[3] ثائر الحلاق، محاضرات في الفكر المعاصر "قضايا و أعلام"، مرجع سابق، ص178.

[4] لطيفة عميرة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد الجزائري 1889-1940،مرجع سابق، ص 30

[5] لطيفة عميرة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري 1889-1940، مرجع سابق ،ص 31

[6] المرجع نفسه، ص 31

ويظهر من خلال هذا بأن المؤسسات الأوروبية الحديثة، لها ما يعادلها أو ما يقابلها في الدولة الإسلامية قديما ، لأن" الفكرة الحديثة عن مسؤولية الوزير لا تختلف كثيرا عن الفكرة الإسلامية عن الوزير الصالح" [1]. وكذلك البرلمانات والصحافة، فإنما هي معادلة " للمشورة "في الدولة الإسلامية قديما أي أهل الحل والعقد وعلى هذا لا يكون تبني المؤسسات الأوروبية بالحقيقة إلا تطبيقا لروح الشريعة وتحقيقا لغايتها " [2].

ويقول خير الدين التونسي، لابد أن تتغير الشرائع حسب ما هو ضروري باعتبار أن الظروف تتغير، ويطالب كل من العلماء ورجال الأعمال أن يكونوا على اتفاق فيما بينهم، بحيث أن رجال الأعمال دورهم يكمن في إقرار ما يتناسب مع مصالح الأمة، وفي المقابل يقوم العلماء بإقرار ما إذا كان هذا الأمر يتماشى ومبادئ الشريعة " لذلك كان أول شرط للإصلاح السليم اتفاق العلماء ورجال الدولة، ومن أهم واجبات العلماء أن يطلعوا باتصالهم برجال السياسة، على وقائع الأمور، إذا على إطلاعهم هذا يتوقف تطبيقهم للشريعة، فتطبيق الشريعة لا يقتضي معرفة النصوص فحسب، بل معرفة الظروف التي على ضوئها يجب تطبيق النصوص"[3].

وبعد العرض والتحليل الذي قدمناه حول أفكار كل من رفاعة رافع الطهطاوي، وخير الدين التونسي الإصلاحية، من الضروري أن نشير إلى أن كل من الطهطاوي وخير الدين التونسي هما من رواد النهضة العربية، اللذان ساهما بأفكارهما الإصلاحية إلى النهوض بالفكر العربي، الذي كان يعيش حالة من الركود والانحطاط، محاولين إحداث صحوة فكرية في العالم العربي وإخراجه من قيود التقليد إلى التفكير في التطور وزرع نظرة تحديثية من أجل المستقبل.

[1] المرجع نفسه، ص 31

[2] المرجع نفسه، ص31.

[3] المرجع نفسه، ص31.

المبحث الثاني: النهضة عبر التاريخ

المطلب الأول: العوامل التي أدت إلى ظهور الفكر النهضوي العربي:

إن النهضة العربية ما كانت لتقوم لو لم تساعد في ذلك عوامل، دفعت هذه الأخيرة إلى رفض ذلك الواقع الذي كان معاشا ، والسعي إلى إحداث التغيير، وبهذا فإن العوامل المؤثرة في صناعة النهضة قسمت إلى عوامل سياسية وعوامل فكرية:

1/ العوامل السياسية:

في تلك الفترة كانت " الدولة العثمانية * التي مثلت آخر الدول الجامعة التي اعتمدت الإسلام كشعار لنظامها السياسي وهي دولة كبرى وصلت بحاكميتها إلى حدود البلقان، وقد مارست هذه الدولة ذات العاصمة التركية والأطراف القومية المتعددة الانتماءات أبشع الممارسات على الصعيد السياسي ،"[1]

وكان ذلك بسبب منح الحاكم(السلطان) السلطة المطلقة في إصدار القوانين والفرمانات وكان لابد على الكل أن يخضع بالقوة لسلطة الحاكم والامتثال لأوامره،" وقد كان الإسلام وتحديدا المذهب الحنفي بمثابة الغطاء لهذه الممارسة السيئة للحكم وقد كان داخل الدولة العثمانية من يتبع مذاهب إسلامية أخرى، وكان هناك من أتباع ديانات مختلفة، وقوميات

(*) الدولة العثمانية: اكبر الدول الإسلامية اتساعا تكونت بين القرنين 14و15م على يد الأتراك العثمانيين بعد تفكك إمبراطورية السلاجقة، اتسعت رقعة البلاد تحت حكم عدد من السلاطين(عثمان الأول مؤسس الأسرة العثمانية ومراد الأول وبايزيد الأول) على حساب الإمبراطورية البيزنطية وبلغاريا وصربيا وحققت انتصارات باهرة في بورصة وكوسوفو ونيكول، بلغت الدولة ذروة مجدها في عهد سليم الأول الذي استطاع ضم مصر وبلاد الشام(1516- 1517)م كما اتسعت في عهد سليمان القانوني حيث أصبحت القوة المركزية التي ستقود العالم الإسلامي باسم الخلافة إلى غاية سقوطها عام1923م بموجب معاهدة لوزان

[1] د، بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد، قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص 23

متفاوتة، فغير الترك من القوميات، وغير الحنفيين من المسلمين وغير المسلمين من أتباع الديانات كانوا خاضعين بالقوة لسلطة الخليفة" [1].

وكلهم كانوا يحاولون التخلص من قيود الدولة العثمانية، وتزامن هذا الوضع مع القوة التي شهدتها أوروبا التي أصبحت تتدخل في شؤون الدولة الإسلامية (الدولة العثمانية) التي انهارت وتفككت إلى دويلات صغيرة وهنا كان لابد أن يتحقق قانون خضوع الضعيف للقوي "وهذا ما حصل بفعل الاستعمار، الذي توزع في أرجاء الدولة العربية والإسلامية المنبثقة عن الدولة العثمانية، ومع الاستعمار فمن الطبيعي أن تكون الحاكمية للفكر الغربي في الأنظمة السياسية والاجتماعية والتربوية والتعليمية التي سوف تصاغ من قبل الدول المستعمرة "[2].

وهذا الأمر سيحدث فاصلا بين الدول الإسلامية ودينها، مما كان لزاما أن يظهر مفكرين مسلمين للتصدي لهذه الأوضاع السائدة والدفاع عن الإسلام وتوعية المسلمين، ومن أهم القضايا والمواضيع التي طرحها هؤلاء المفكرين "موضوع الوحدة الإسلامية، موضوع التوليف بين السلطة والفكر الإسلامي، موضوع الاجتهاد وضرورته من أجل صياغة الرؤى والإجابة عن التساؤلات الكثيرة وبالأخص الأسئلة السياسية والاجتماعية الكبرى " [3]، وهذا كله من أجل الوصول إلى هدف واحد وهو إحداث صحوة في الوطن العربي والتصدي لمظاهر السيطرة والهيمنة الأوروبية وإخراج الوطن العربي من دائرة التخلف والانحطاط الذي شهده إبان سقوط الدولة العثمانية وتفكك أجزائها.

---

[1] د، بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد، قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص23.

[3] المرجع نفسه، ص25.

2/ العوامل الفكرية:

أ/: تمثلت في الفكر القادم مع حملة نابليون بونبارت *على مصر عام1798م، التي كان الهدف منها تحقيق عدة غايات، بدليل أن " نابليون بونابرت كان على بنية جيدة بحضارة مصر الفرعونية التي ترددت فيما رواه الرحالة الفرنسيين عن مصر في مؤلفاتهم، إلا أنه لم يكن يسعى لأن يكون فرعونا ولا سلطانا على مصر وما حولها وإنما كان يتطلع إلى ما هو أعظم من المكانة التي بلغها الإسكندري الأكبر الذي غزت حضارته بقوة المنطقة فحتى السند في الهند" [1].

بالإضافة إلى هذا العامل هناك عامل آخر يتمثل في الفكر " الذي حمله أيضا مجموعة من الطلبة الذين أرسلهم محمد علي باشا إلى فرنسا للتعلم في مدارس الغرب" [2]

بحيث اطلعوا على مختلف مناحي الحياة في أوروبا المتطورة ، مما أحدث لديهم الرغبة في تطوير الفكر العربي ليكون مماثلا للتطور الذي شهده الغرب فنقلوا عن أوروبا مختلف العلوم.

ب/ الإستشراق*:

يعد الإستشراق من العوامل المساعدة في صناعة النهضة " فبعد فشل الحروب الصليبية لم يعد الخيار العسكري ساعتئذ مطروحاً فاتجهت الأنظار بل وجهت إلى غزو بلاد الشرق بالطرق السلمية وبرز مفكرون غربيون تبنوا ذلك،"[3]

---

* نابليون بونابرت: هو إمبراطور حكم فرنسا بين(1804- 1815)م ، من اشهر قادة الحروب في التاريخ، قاد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م.

[1] عبد العزيز نوار، **النهضة العربية الحديثة ، حركة علي بك الكبير، التنافس الاستعماري، الحملة الفرنسية على مصر، صعود الدولة السعودية** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص67

[2] بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة و التجديد –قراءة في فكر النهضة، مرجع سابق، ص25.

* الاستشراف: تطلق كلمة الاستشراف في معناها العام على العلم الذي يدرس ما يتعلق بالشرق عموما:(أقصاه ووسطه وأدناه) إما بالمعنى الخاص فهو العلم الذي يتناول الشرق الإسلامي في جوانبه كافة(لغته وتراثه ومجتمعه) في الماضي والحاضر.

[3] ثائر الحلاق، محاضرات في الفكر المعاصر "قضايا وأعلام"، مرجع سابق، ص 08

بمعنى أنه بعد فشل الخيار العسكري في غزو بلاد الشرق ونشر المسيحية .رأى بعض المفكرين أنه لابد من تغيير الوسيلة لذلك رأوا أن "أفضل وسيلة لنشر المسيحية هي " التبشير السلمي" [1].

ومن خلال هذا " فالإرهاصات الحقيقية لنشأة الإستشراق بدأت بانتهاء تلك الحروب التي أدت إلى إفراز بنية عدائية المنهج في تعاملها مع الإسلام جردت المستشرقين من الموضوعية والأمانة العلمية "[2].

ويتمثل الهدف من الاستشراق في نشر المسيحية، ليتوقف نشر الإسلام وتأثيره على العالم واهتموا كثيرا بتشويه صورة الإسلام وزرع نظرة مزيفة ومشوهة عنه خاصة في الغرب، لذلك حمل المفكرين العرب المسلمين عن عاتقهم مسؤولية تصحيح هذه النظرة السيئة، والخاطئة للمستشرقين عن الإسلام.

ج/ حركة الترجمة * : فمن خلال ترجمة العديد من الكتب والمؤلفات الغربية إلى العربية هذا الأمر سمح للعرب من الإطلاع على ثقافة الغرب وساعدت على اكتساب معارف جديدة " هذا وإن حركة الترجمة على اختلاف درجاتها ومناحيها، قد كملت الوعي الثقافي في العالم العربي، وأعانت على توليد ذوق أدبي يرتقب من العطاء الفني طرازا ليكون توأم الطراز الذي وقع الناس عليه لدى الأمم الغربية وعممت هذا الذوق في الجماهير المستهلكة بعد أن رسخته في الأدباء أنفسهم، حتى باتت الجماهير المتذوقة بمثابة الحافز والمتلقي معا " [3]

---

[1] ثائر الحلاق، محاضرات في الفكر المعاصر "قضايا وأعلام"، مرجع سابق ، ص 08

[2] المرجع نفسه، ص08.

* حركة الترجمة: حركة الترجمة هي محاولة التعرف على الآخر من خلال تعريب الكتب الى الثقافة العربية.

[3] أمينة غصن، **عصر النهضة مقدمات ليبرالية للحداثة**، ط1، مؤسسة رينا معوض، المركز الثقافي العربي، مؤسسة فريديريش ناومان، 2000، ص183.

هذا وإن حركة الترجمة أحدثت نوعا من اليقظة ، ونشرت الوعي ، بحيث أدرك الناس الواقع المتخلف والمزري الذي كانوا يعيشونه والذي كان بعيدا كل البعد عما كان سائدا في أوروبا.

د/ تأثر العرب بالغرب:

إن محاولة العرب لإحداث صحوة واللحاق بعجلة التقدم التي شهدتها دول الغرب لم يكن وليد الصدفة "فإذا كان لكل فعل كما يقولون في علم الفيزياء ما يعادله من ردة الفعل، فالمفترض بالفكر العربي في عصر النهضة أنه كان ردة الفعل العكسية المعادلة لما استحدثته الهجمة الأوروبية الطاغية منذ مطلع القرن الماضي على المشرق العثماني عامة وعلى العالم العربي منه بوجه خاص" [1]

كما أن البلدان العربية عرفت النهضة في أشكال متباينة ومختلفة عن بعضها البعض.

" إن عصر النهضة الذي شهد تماسا مباشرا مع الغرب كما أشرنا، وانتقالا واسعا لمثقفي الشرق إلى الغرب وعودتهم إلى بلادهم مرة أخرى محملين بثقافة الغرب ثم تزايد عملية التعليم، والميل القوي لتغيير المجتمع لدى فئات المثقفين كل ذلك جعل ثقافة الغرب حاضرة وبقوة" [2] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تأثر العرب بالتقدم الذي شهدته أوروبا في ذلك العصر، مما جعل مثقفيهم بالخصوص إلى الانتقال إلى الغرب ليكونوا على إطلاع أدق بمعالم الحياة الحضارية هناك ومعرفة أسباب تقدم أوروبا ونقل تلك العلوم الغربية وذلك كله كان يهدف إلى شيء واحد وهو تغيير الواقع الاجتماعي المنحط الذي شهده الوطن العربي في تلك المرحلة إلا أن هذا النقل للعلوم" والتأثير بأفكار

---

[1] نديم نعيمة، **عصر النهضة، مقدمات ليبرالية للحداثة**، مؤسسة رينا معوض، المركز الثقافي العربي مؤسسة فريديريش ناومان، ط 1 ،2000، ص51.

[2] احمد برقاوي، **محاولة في قراءة عصر النهضة(الاصلاح الديني)، النزعة القومية)**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 2 ، 1999،ص54.

الغرب لم يأخذ دائما صورة التبني المطلق لكل ما هو غربي بل وجرت عملية تعريب" [1].

وهذا من شأنه الأخذ فقط بما هو صالح من تلك العلوم والذي لا يتنافى مع معالم الشريعة الإسلامية .

[1] أحمد البرقاوي، محاولة في قراءة عصر النهضة (الإصلاح الديني–النزعة القومية)، مرجع سابق، ص 55

الفصل الثاني:
المشروع النهضوي عند عبد الرحمان الكواكبي

تمهيد:

إنّ كلّ أمّة تمرّ بمراحل من حيث التّقدم والتّخلّف، فتارة تعتلي أمة من الأمم الريادة التاريخية، وتارة أخرى يمكن أن تتراجع وتضعف، وفي مقابل ذلك نجد أن هذه الأمم لا تستسلم لذلك التخلف والانحطاط، فتحاول بذلك استرجاع أمجادها ولعل ذلك يحدث عن طريق مفكريها ومصلحيها، ولعل عبد الرحمن الكواكبي الذي يعتبر من رواد النهضة العربية في سوريا هو إحدى تلك الأصوات التي نادت بضرورة نهوض الأمم من جديد، فساهم بأفكاره الإصلاحية إلى محاولة توعية الشعوب العربية لإصلاح مجتمعاتها والقضاء على التخلف والجهل الذي لحق بالأمة العربية ، فتطرق في مشروعه النهضوي الإصلاحي إلى إصلاح النظام السياسي منددد في ذلك بالقضاء على الاستبداد ،كذلك قام بإصلاحات في المجال الديني ونادى بالوحدة العربية كون الأمة العربية تشترك في خاصية واحدة ألا وهي العروبة وهذا ما سنتطرق له في عرضنا هذا.

المبحث الأول: أضواء على فكر وشخصية عبد الرحمن الكواكبي

المطلب الأول: حياة وعصر عبد الرحمن الكواكبي:

1/ مولده و نشأته:

يعتبر عبد الرحمن الكواكبي من ابرز رواد عصر النهضة العربية في سوريا ،" بحيث عاش في الفترة الممتدة بين عامي 1849-1903"[1] ،الموافق ل ."23 شوال سنة 1265"ه[2] "هو عبد الرحمن أحمد بهائي بن محمد مسعود الكواكبي"[3].

"ويعود نسبه إلى السيد إبراهيم الصفوي احد أمراء أردبيل العظماء ،وهو سليل بيت علم"[4]، "نشأ في مدينة عربية عريقة هي حلب الشهباء".[5]

"تعلم القراءة والكتابة في المدارس الأهلية والابتدائية ثم استحضر له أستاذاً مخصوصا علمه أصول اللسانين التركي والفارسي ،وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة الأسرتة" [6].

لقد كان للكواكبي اهتمام كبير بالعلوم المختلفة بحيث "درس العلوم الشرعية في المدرسة التي أنشأها جدوده و إليهم نسبت، ثم وقف على العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحديثة، وأتقن العربية والفارسية والتركية ".[7]

---

[1] د- بلال نعيم-الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد -قراءة في فكر النهضة -دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع- ط1(1425ه-2004م)-ص77.

[2] القاضي سعد زغلول الكواكبي -عبد الرحمن الكواكبي-السيرة الذاتية -بيسان للنشر والتوزيع ط1-سنة 1998- ص15.

[3] د- محمد عمارة - في التنوير الاسلامي 68-الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيا؟!-نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - ص06.

[4] مارون عبود، رواد النهضة الحديثة ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة للطباعة والنشر 2012/8/26،ص193.

[5] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي ،مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع،2012/08/26،ص22.

[6] القاضي سعد زغلول الكواكبي ،عبد الرحمن الكواكبي ،مرجع سابق،ص22.

[7] المرجع نفسه،ص16

2-خدمته ووظائفه:

شغل الكواكبي عدة مناصب لعل منها ما سنذكره في عرضنا هذا :" دخل في وظائف الدولة رسمياً في الثامنة والعشرين من عمره وفي سنة 1292 عين محرراً للجريدة الرسمية بقسميها براتب قدره ثمنماية قرش .و في 5 ربيع الأول 1295 عين كاتبا فخرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب وبعد ثلاث سنين أتسعت دائرة اللجنة وزيد فيها قسم للنافعة (الإشغال العمومية) وعين عضوا فخريا فيها. وفي جمادى الأولى عين محررا للمقالات (المسجل المحكمة).[1]

"وفي ربيع الثاني سنة 1298 صار مأمور الأجراء في ولاية حلب. وفي رمضان 1298عين عضوا فخريا في لجنة امتحان المحامين. وفي ربيع الأول سنة 1298 عين مديراً فخرياً لمطبعة الولاية الرسمية .وفي رجب عين رئيسا فخريا للجنة "قوميسيون" النافعة .وفي ذي القعدة عين بأمر نظارة العدلية الأستانة عضوا في محكمة التجارة بولاية حلب"[2].

وجاء في وثيقة أخرى انه "في ربيع الأول سنة 1312 عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية .وفي ذي الحجة منها عين ناظرا ومفتشاً لمصلحة انحصار الدخان (الريجي) المشتركة مع نظارة المالية في ولاية حلب ومتصرفية (الزور) .وفي أثناء ذلك اتفق مع إدارة المصلحة على أن يستلم منها جميع ما تقدمه من الدخان إلى الولاية والمتصرفية بزيادة كثيرة على القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيها منه ويتولى بيعه .وتعهد في إزاء ذلك بمبلغ من المال يزيد عما كانت تبيع به المصلحة دخانها زيادة كبيرة .وفي غضون ذلك استقال من رياسة كتاب المحكمة الشرعية. وفي ذي الحجة من 1314 أعيد إليها

[1]- القاضي سعد زغلول الكواكبي ،عبد الرحمن الكواكبي ،مرجع سابق، ص 17.

[2]-المرجع نفسه، ص16

وعين رئيساً للجنة البيع والفراغ (أي استبدال الأراضي الأميرية من أصحاب اليد بالمال) وفي ربيع الأول عين رئيسا أولا لغرفة التجارة في حلب ورئيسا لمجلس إدارة البنك الزراعي. وفي رجب عين قاضياً شرعياً ل "راشيا" التابعة لولاية سورية"[1]

3- رتبه و وسماته:

تقلد عبد الرحمن الكواكبي منذ بداية حياته العملية عدة مراتب وحصل على العديد من الجوائز والأوسمة، "ففي رجب 1297 وجهت إليه باية رؤوس أدرنة العلمية وفي ربيع الثاني وجه إليه تدريس هذه الرتبة ،وفي ذي الحجة من سنة 1312 وجهت إليه مولوية أزمير المجردة ثم أعطى الوسام المجيدي من الدرجة الثانية (أ-ه)".[2]

4/ الكواكبي الفتى والشاب نضاله ومآسيه:

لقد تابع المفكر السوري عبد الرحمن الكواكبي مسيرته الدراسية في مدرسة الكواكبية حيث تفرغ لمطالعة الكتب المختلفة وخاصة ما كانت مترجمة إلى اللغتين التركية والفارسية ، كما كان أيضا كاتباً و محررا " فكلف من قبل الوالي بتحرير الجريدة الرسمية للولاية وهي "الفرات" من سنة 1292 حتى 1300ه"[3]

فبالإضافة إلى تحريره لجريدة الفرات قام الكواكبي أيضا بتحرير جرائد أخرى ف"في عام 1294ه يوم الخميس 27 ربيع الثاني صدر أول عدد من جريدة "الشهباء "مؤرخا بالهجري والميلادي على انه في 28 نيسان و 10 أيار 1877م ،وهي الصحيفة التي استعار لها- ضمانة لحصوله على ترخيصها اسم السيد "هاشم العطار

[1] - القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص17

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] المرجع نفسه ، ص43.

"كصاحب رخصة .أما محررها فقد كان هو وحده. وكان عمره يومئذ في الثانية والعشرين."[1]

-وحينما صدرت جريدة الشهباء أحدثت ضجة كبيرة في جميع أرجاء الوطن العربي مما جعل جرائد أخرى وفي مناطق أخرى تقوم بنشر مقالات عبد الرحمن الكواكبي مما جعل الناس يطلعون على مقالاته التي كانت تحمل عبارات نقدية للسلطة وأفكار تنويرية وبذلك" أدرك والي حلب "قبرصلي كامل باشا" مدى الخطر على السلطنة الناجم عن منشورات

هذه الجريدة التي لم يكن قد صدر منها سوى ستة عشر عددا، تعطلت خلالها ثلاث مرات، فأصدر أمراً بإغلاقها وسحب رخصتها! وكان هذا آخر أمر بالإغلاق النهائي".[2]

وقد أوضح عبد الرحمن الكواكبي للسب الرئيسي الذي جعله يصدر جريدة الشهباء والمتمثل في خوف السلطة من الكتابات التي تفضح استبدادها فقامت الحكومة بتسليم التحرير لشخص أخر وهو "الحاج هاشم الخراط" ليكون هو المحرر بدل الكواكبي وهذا ما جعله يتوقف عن العمل بالشهباء ،إلا أن هذا الأمر لم يكن حاجزا يمنع الكواكبي من مواصلة مسيرته بل أصبح "حافزا له على متابعة الجهاد الذي بدأه بلسانه ثم بقلمه، فعمد إلى إصدار جريدة أخرى اسماها "إعتدال". صدر العدد الأول منها في 5 شعبان 1296هالموافق 25 تموز 1879، وقد كتب في افتتاحها ما يشير إلى أنها ستسير على منوال "الشهباء " أو كما كتب هو: "هي هي"! وكانت لها نسختان: عربية وتركية."[3]

---

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص 43 -44

[2] المرجع نفسه، ص 44.

[3] المرجع نفسه، ص 44-45.

إلا أن هذه الجريدة تعرضت لنفس ما تعرضت إليه جريدة الشهباء بحيث قامت الحكومة بإيقاف إصدارها هي الأخرى.

5/ وفاته:

لعل ما هو معروف أن عبد الرحمن الكواكبي لم يعش حياتا كلها امن واستقرار واطمئنان لأنه كان من تلك الأصوات المنددة بالتعيير والثورة على السلطة العثمانية، ولعل هذا ما جعل الموت يطرق بابه مبكرا، بحيث جاء على لسان القاضي سعد زغلول الكواكبي وهو حفيد عبد الرحمن الكواكبي انه " في ساعة متأخرة من مساء الخميس الخامس من ربيع الأول سنة عشرين وثلاثة ماية و ألف للهجرة، الثاني عشر من حزيران سنة اثنتين وتسع ماية وألف للميلاد ،كان جدي رحمه الله مجتمعاً مع لفيف من أصدقائه العلماء وكبار الأدباء في مقهى "استنبول" بجوار "العتبة" وبعد شربه فنجان القهوة شعر بألم فاعتذر به لمغادرتهم وانصرف مع ابنه والألم يعتصر أحشائه. وقام صديقهما الحلبي السيد "عبد القادر الدباغ"(والد المؤرخة الحلبية عائشة الدباغ) وأوصلهما إلى بيتهما . وما كاد يدخل البيت، بعد انصراف الدباغ ،حتى أصابته نوبة صاعقة فطلب من ابنه "الكاظم" أن يأتيه بطبيب. وهرع هذا إلى بيت السيد "الدباغ" الذي لم يكد يغلق باب بيته عليه ،حتى ناشده: إلحقني يا عماه ،فوالدي لست ادري ما أصابه وهرع "الدباغ" إلى صديقه فوجده يتلوى من الألم ويقول له: "لقد سموني يا عبد القادر".[1]

وهكذا فارق مفكرنا هذه الحياة عن عمر يناهز 54 سنة، " وما كادت تبرز الشمس من مطلعها حتى انتشر الخبر واقبل الأطباء من قبل حضره الخديو يفحصون

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص181.

جثة المتوفي ،فظهر لهم أنها في رقودها الأبدي. ثم شيعت جنازته على نفقة الخديو ،ومشى في موكبها طائفة كبيرة من العلماء والأدباء وذوي القدر".[1]

إن ما أشارت إليه كتابات مختلف المفكرين حول هذه الشخصية الفذة على ان وفاة عبد الرحمن الكواكبي لم تكن وفاة طبيعية إنما كانت مدبرة من قبل أولئك اللذين أرادوا إطفاء نور هذه الشمعة المنيرة وبذلك و "عندما دفنه مشيعوه من أبناء الشعب المصري وأحرار العرب في مقابر "باب الوزير" بسفح جبل "المقطم" كتبوا على قبره كلمة "الشهيد" لتشير بأصابع الاتهام إلى الأتراك العثمانيين وطاغيتهم حينئذ السلطان عبد الحميد."[2]

المطلب الثاني: مؤلفاته:

تميزت مسيرة الكواكبي الفكرية والإصلاحية بمجموعة من الانجازات العظيمة والمتنوعة التي استطاع من خلالها معالجة مختلف القضايا التي تهدد امن الأمة وكيانها، حيث تمكن الكواكبي من خلال مؤلفاته المختلفة من معالجة العديد من المشاكل التي تعاني منها الأمة العربية ،ومحاولته إيجاد الحلول لسد الثغرات والفجوات التي تتخللها، والقضاء على الجهل والاضطهاد الذي جعلها تعيش في جو من التوتر حيث تنوعت كتاباته بتنوع المشاكل التي تعاني منها الأمة العربية ومن الكتب التي ألفها نجد:

---

[1] سمير أبو حمدان ،موسوعة عصر النهضة ،عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد ، الشركة العالمية للكتاب ش م ل، للطباعة والنشر والتوزيع،(1992م-1413ه) ،ص53.

[2] صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ص49.

1- الكتب:

أ/ أم القرى:

"أول كتاب نشر "للكواكبي". كتب أفكاره ومعظمه في حلب خلال العقد الأخير من القرن السابق (التاسع عشر) وقد اثبت فيه ضبوط جلسات مؤتمر إسلامي عالمي، ضم علماء مسلمين من جميع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ،عقد في مكة المكرمة "ام القرى" في الثالث عشر من ذي الحجة سنة 1312ه 24نيسان- ابريل 1899م (أي قبل قيامه برحلته الكبرى رحلة الهجرة إلى مصر والبلاد العربية والإفريقية التي تمت في أوائل عام 1318ه)".[1]

لعل من أسباب انعقاد هذا المؤتمر هو البحث في أسباب تدهور أوضاع المسلمين وانحرافهم عن دينهم الذي أدى بهم إلى التخلف ،وتقديم بعض الأفكار والآراء التي تمكنهم من استعادة أمجادهم من جديد،" كما بحث أمر خلافة المسلمين ومكانها والشرائط التي يجب أن تتوفر في خليفة المسلمين من حيث العرق والانتساب."[2]

كما أن لكتاب أم القرى أهمية جد بارزة وتظهر أهميته في "كونه أول دراسة عربية وإسلامية عن أوضاع العرب والمسلمين في الشرق ،تصف تأخرهم عن ركب الحضارة وتضع النقاط على الحروف في أسباب ذلك التخلف وتنير الطريق للقضاء على هذا التخلف."[3]

وهناك أيضا في كتاب أم القرى نقطة جد مهمة ولابد لنا من الإشارة إليها فمن "النقاط المثيرة للانتباه ذلك الجدول السري (الشيفرة) الرقمية والهجائية التي وضعها "الكواكبي " في أواخر "أم القرى" مرة بأسطر رقمية ومرة بأسطر أحرف هجائية ،يقول عنها أنها بيان سري لجمعية "أم القرى" سيكشفه الزمان كما أوضح انه وضع طريقة

---

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي ، عبد الرحمن الكواكبي ،مرجع سابق ،ص115.

[2] المرجع نفسه، ص115.

[3] المرجع نفسه، ص116.

لتبادل الرسائل الجفرية أوضحها بجدول من الأسطر الجفرية موضحاً طريقة الكتابة وطريقة الحل بالمفتاح الذي يتفق عليه المتراسلين."[1]

إلا أنه هناك طبعة لا تتوفر على ذلك البيان الجفري وهي تلك النسخة التي طبعت عام 1931،وهي بذلك تعتبر طبعة ناقصة لان الناشر لم يفهم ذلك الجدول وبالتالي لم يركز اهتمامه عليه.[2]

ب/ طبائع الاستبداد:

كتبه "الكواكبي" كذلك في حلب على مسودات لم تجمع في كتاب ،حملها معه إلى مصر في هجرته 15 محرم 1318ه -5ايار -مايو 1900م، وقدمها مقالات للصحف القاهرية ، ثم جمعها وطبعها طبعة أولى ما لبث أن عززها بطبعة ثانية."[3]

إن كتاب طبائع الاستبداد فهو يعد "دراسة فلسفية للاستبداد والحكم الفردي للمستبد ،وبمعنى الحرية والطرق التي يتبعها المستبد في سبيل كبت الحرية وإخضاع أفراد الرعية لمشئته ،والرسائل التي يعتمدها المستبد في هذا السبل من تعميم الجهل وتعميم ممارسة الغيبيات من طرق صوفية وأذكار راقصة وسواها و تسخير الدين لخدمة السلطان بواسطة رجال أضفى عليهم صفات رجال الدين مما لا يقره الدين الإسلامي الذي ليس فيه صفة رجل دين ولا هو يجيز تسلط هؤلاء المتسمين بهذه الصفة".[4]

لقد اشتهر كتاب طبائع الاستبداد كثيراً مما جعل مختلف الدارسين والمفكرين يطلعون عليه وقاموا بترجمته بعد وفاة الكواكبي إلى لغات أخرى وذلك بفضل ما يحتويه هذا الكتاب من أفكار وآراء مهمة.

---

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي ،عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق ص116-117.

[2] المرجع نفسه، ص117

[3] المرجع نفسه، ص115.

[4] المرجع نفسه، ص117.

ج/ صحائف قريش:

"أما "صحائف قريش" فهو تذليل لكتابه الأول "أم القرى" تضمن على ما يظهر نخبة من فصول الصحيفة الدورية التي أشار في الكتاب إلى اتفاق الجمعية على إصدارها، وقد أوصى المؤلف قراءه أن ينتظروها ويحفظوها: فمن يظفر بنسخة من هذا السجل فليحرص على إشاعته بين الموحدين، وليحفظ نسخة منه ليضيف إليه ما سيتلوه من نشريات الجمعية باسم صحائف قريش التي سيكون لها شأن –انشاء الله –في النهضة الإسلامية العلمية والأخلاقية".[1]

قيل أن هذا الكتاب كان جاهزا ومعداً للطبع إلا انه لابد أن يكون قد صودر مثل الكتب الأخرى السابقة ،كما أن عبد الرحمن الكواكبي أيضا لم يقم بإطلاع أي احد على مسودات هذا الكتاب أو مكانها .

د/ العظمة لله:

لابد أن كتاب العظمة لله هذا ما هو إلا تكملة وإضافة إلى كتاب طبائع الاستبداد ويظهر ذلك من خلال عنوانه "وقد شاهده " المرحوم كرد علي" لدى الكواكبي في القاهرة واتى على ذكره في الخطط".[2]

وقيل انه جاء في هذا الكتاب إنكاره "على المستبدين تطاولهم إلى مشاركة الله في عظمته ، وينكر فيها على الخانعين من رعاياهم خضوعهم لتلك العظمة."[3]

ه/ الأنساب:

لا يوجد لهذا الكتاب اثر ولم يره أي احد إلا أن القاضي سعد زغلول في كتابه عبد الرحمن الكواكبي –سيرة ذاتية– قال بأنه وجد بين أوراق عمه رسالة كانت مبعوثة

---

[1] د.عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي ،مرجع سابق ص61.

[2] القاضي سعد زغلول الكواكبي ،عبد الرحمن الكواكبي مرجع سابق ،ص120.

[3] د .عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي ، مرجع سابق ،ص62.

له من قبل أخيه كان يدعوه فيها إلى التوجه إلى الشيخ رشيد رضا لاستعادة هذا الكتاب لأنه كان بحوزته وكان قد سلمه إياه الكواكبي ليطبعه.

و/ أمراض المسلمين والأدوية الشافية لها:

يعتبر هذا الكتاب بمثابة بحث قام بإجرائه عبد الرحمن الكواكبي ،وكان قد نشره في جريدة المؤيد ،وكان الهدف من هذا البحث هو تشخيص الكواكبي للداء الذي لحق بالآمة العربية ومحاولة إيجاد العلاج لذلك الداء.

و/احسن ما كان في أسباب العمران:

ن/ ماذا أصابنا وكيف السلامة:

"وقد ذكر هذا "رشيد رضا" في "المنار" مج 8ج 22ص 861-1905/1/11 ولا نعلم شيء عن محتويات هذين الكتابين ومصيرهما إلا مما ذكره "عبد المسيح الانطاكي" عن وجودهما وإطلاعه عليهما .لعل المنية هي التي حالت دون "الانطالي "ودون تحقيق وعده بنشرها، فهي كانت في متناول يده على اكبر تقدير."[1]

م/ تجارة الرقيق وإحكامه في الإسلام:

هناك سبب مهم جداً هو الذي دفع الكواكبي إلى تأليف الكتاب ولعل السبب يرجع إلى تلك الرحلة التي قام بها الكواكبي لتفقد أحوال الرقيق في مختلق مناطق البلاد العربية، إلا أن هذا الكتاب هو كغيره من الكتب الأخرى لم يسلم من الإحراق والمصادرة، وكل ما بقي منه هو تلك المقدمة التي تشير للكتاب والتي كان الكواكبي قد سلمها للشيخ رشيد رضا ،إلا أن وفاته حالت دون تسليمه لبقية الكتاب.

2- المقالات:

لقد اختلفت المقالات التي قام بنشرها الكواكبي وهي كثيرة ومتعددة ،فمنها مقالات نشرها في جريدة الفرات ،وهناك مقالات أخرى وهي التي قام بنشرها في جريدة

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي ،عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق ص121.

الشبهاء والتي كانت تعطل مرات عديدة، "ومنها أيضا :ما كان يرسلها من حلب، وما بعث بها إلى الجزائر أثناء وجوده في مصر ما كانت تنقله جرائد غير سورية من جرائده الحلبية كجريدة "النجاح" البيروتية التي نشرت له مقالات من جريدة "الفرات" في العدد 33 منها في 1872/03/27. ومنها ما نشر في جريدة العرب التي أصدرها في القاهرة ثم توقفت بعد أيام".[1]

3- الجرائد:

أ/ النحلة:

"وتصدر في بريطانيا ،وقد أشارت الجريدة إلى مقالين وصلاها من "مراسلهما غير الاعتيادي" في 1879/4/1 والى أنها حذفت منهما عبارات يتهم فيها الكاتب رجال الدولة والقناصل من دون تقديم دليل وقد أشار "جان داية" إلى أن هذين المقالين نشر ايضا في العدد الخامس من "الشبهاء" في شهر 1877/12."[2]

ب/ الأهرام:

هي جريدة كانت تنشر مقالات من غير توقيع ،وقام جان داية بتحقيق في غضون ذلك واقر بان تلك الكتابات تعود إلى الكواكبي بدليل أن تلك الكتابات كانت تكرر النقد والسخرية بنفس الطريقة التي نشرت فيها المقالات في جريدة اعتدال.

ج/ المصباح:

هي جريدة لبنانية" وفيها مقال تحت عنوان مراسلات من حلب في 19 آذار في العدد 326 بتاريخ 1883/3/24، بتوقيع :"الإمضاء محفوظ" ،وذلك بعد تعطيل صحيفته."[3]

---

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص128.

[2] المرجع نفسه، ص128.

[3] المرجع نفسه، ص128.

د/ لسان العرب:

"وقد نشر فيها مقالين بعنوان "أحب شيء إلى الإنسان ما منعا" في العدد323 بتاريخ 1890/8/28 .وآخر بعنوان "احمد مختار باشا معتمد الحكومة التركية في مصر " في العدد 328 بتاريخ 1890/9/4 والتوقيع: "احد الأفاضل الحلبين".[1]

ه/ المقطم:

وهي جريدة أخرى نشرت مقالات الكواكبي، "ففي العدد 3148 بتاريخ 1899/8/5 مقال بعنوان "الجامعة الإسلامية –الفصل الأول "وفي العدد 3149 بتاريخ 1899/8/7 "الجامعة الإسلامية –الفصل الثاني" وهما بتوقيع "مسلم حر الأفكار".[2]

–بالإضافة إلى هذه الكتب والمقالات التي ذكرناها سابقاً ،هناك أيضا كتب ومقالات أخرى بحيث جاء على لسان "الأديبة الأندنوسية نور ليلي عدنان في رسالة الماجستير التي قدمتها بجامعة القاهرة سنة 1970 أنها جاءت على لسان "بشير اليوسف" صاحب جريدة "القاهرة" التي عثرت عليها والتي صدر العدد الأول منها في 1903/4/1 بعد اشهر من وفاة "الكواكبي".[3]

بحيث اقر هذا الأخير انه عثر على مؤلفات أخرى للكواكبي وسيقوم بنشرها وذلك نظرا للأهمية الكبيرة التي تحتويها هذه المؤلفات مقرا أيضا انه حصل عليها من قبل صديق مقرب للكواكبي وانه قد نقلها عنه.

4- الرسائل:

لقد اختلفت رسائل الكواكبي وتعددت بين رسائل أرسلها إلى أفراد عائلته أثناء رحلاته ،وبين رسائل أرسلها إلى أصدقائه ،ولعل تلك الرسائل أيضاً منها ما فقد ولم يبق منها، إلا ما بعثه إلى أفراد عائلته ،ومن بينها ما سنذكره في عرضنا هذا.

---

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص128.

[2] المرجع نفسه، ص128.

[3] المرجع نفسه ، ص128–129.

أ/ رسالة بعث بها من اسطنبول إلى ابنه "اسعد" في شوال سنة 312ه يوجهه وأخاه "رشيد" فيها إلى طرائق الدراسة العالية وإمكناتها المختلفة ويبثهما عواطفه نحو أفراد الأسرة فرداً فرداً."[1]

ب/ "رسالة بتاريخ 26 ذي الحجة 1314ه بعث بها من حلب إلى ابنه "اسعد" في استنبول (28 ايار 1897)."[2]

ج/ بالإضافة إلى هاتين الرسالتين هناك رسالة أخرى وكان قد بعثها إلى أولاده أثناء رحلته ليطمئنهم عن حاله، ويسأل فيها عن أفراد أسرته ،كذلك أوصاهم فيها أن يقوموا بكتمان مكان وجوده" إلا عن وصيه الحاج عبد الحليم جودة ،وان يخبراه بأنه لم يفقد أمله ب "مسألة المعدن"(؟؟؟)."[3]

-إن هذه الرسائل التي ذكرناها هي الرسائل التي أرسلها إلى أفراد عائلته أما الرسائل التي بعث بها إلى أصدقائه فقد قال عنها جان داية أنها لا تزال موجودة في" أرشيف وزارة الخارجية البريطانية".[4]

-لم تكتف السلطة العثمانية من حرق ومصادرة مؤلفات الكواكبي بل أصدرت عقوبات في حق كل شخص يقوم باقتناء كتب الكواكبي وقد تكلم الكثير عنها ومن أمثال أولئك :"يوسف يزبك الذي سمعت محاضرته في الخمسينيات من راديوا بيروت إذ ذكر فيها أن شباب تلك الأيام كانوا يذهبون إلى رجل معين ،بصورة سرية ،يعمل فراناً في السوق ويلقون له كلمة السر قائلين" يقول لك والدي أعطني العصا فيمد يده إلى ما

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق،ص130.

[2] المرجع نفسه ،ص130.

[3] المرجع نفسه ،ص130.

[4] المرجع نفسه ،ص131.

تحت الأحطاب المعدة للوقود ويسحب منها نسخة من "طبائع الاستبداد" ويلفها بالخبز لكي لا يشاهدها رجال البوليس ويدفعها إلينا مع العصا".[1]

وقد أصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عقوبة الإعدام في حق كل شخص يقتني كتاب طبائع الإستبداد و كتاب أم القرى وقد عوقب كل من "الأديب نخلة قلفاط وشريكه سليم الميداني صاحبي المكتبة الكلية في بيروت "[2]

بعقوبة ثلاث سنوات سجن بالإضافة إلى الأشغال الشاقة وذلك لأنه قد عثر على نسخة من كتاب أم القرى في مكتبتهما.

[1] القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق ، ص119.

[2] المرجع نفسه ، ص120.

المبحث الثاني: مجالات الإصلاح عند الكواكبي:

المطلب الأول: في المجال الديني:

إن الدين الإسلامي باعتباره قوام الدولة الإسلامية جاء يدعو إلى وحدة الكلمة والتوحيد بين البشر ورفض التفرقة والحفاظ على كرامة الإنسان، كما أن الإسلام هو دين صالح لكل زمان ومكان وله العلاج لجميع المشاكل التي قد تصادف الأمة ،وفي أي زمان والدين هو من أهم المواضيع التي تطرق إليها عبد الرحمن الكواكبي في إصلاحاته.

إن رغبة الكواكبي في تحقيق التقدم والنهضة يظهر جلياً من خلال كتاباته بحيث نجد أن كتاباته " ترمي إلى تجديد ديني يشكل الأساسي المكين لأي نهوض محتمل، وتأسيسه على هذه الخطة الواعية ذهب الكواكبي إلى رفض أي رأي مسبق وأي قناعة مسبقة والتوصل من خلال الفحص العقلي- لآراء وقناعات ومواقف تؤدي إلى (توفيق شؤون المسلمين على مقتضيات الزمان) .وانطلاقاً من هذه الرؤية بات على المسلم المتشوق إلى النهضة أن يرفع شعاراً يقول (أنا إنسان الجد والاستقبال)=(المستقبل) لا إنسان الماضي والحكايات (=الخرافات)."[1]

دون شك يعتبر الكواكبي من رواد الإصلاح الديني وهذا ما تشير إليه كتاباته بحيث كان يرى أن السبيل إلى تحقيق التقدم والنهضة يتوقف على وضع خطة عقلية واعية تستوجب ترك الماضي والتقليد وترك تلك الأفكار التي جاء بها السلف والتي تنافي العقل ،والتفكير في المستقبل والتقدم.

كما" يتخلص الإصلاح الديني عند الكواكبي في تحرير الإسلام من الجمود والخرافة واخطر آفات الجمود عنده انه جعل المسلمين صورة مقلدة ونسخة مستعارة ، فهم مسلمون لخدمة أسلافهم وليسو بالمسلمين لذمة أنفسهم وهم مسلمون بالتبعية وليسوا

[1] سمير أبو حمدان ،موسوعة عصر النهضة ، عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد ، مرجع سابق ،ص77.

مسلمين بالأصالة، يدينون بالإسلام انقيادا منهم لمن تقدمهم ولا يحسبون أنهم أصل الخطاب على حدتهم".[1]

وهذا يدل على أن المسلمين أصبحوا يفهمون دينهم فهما خاطئا ومنعلقا ،بحيث صاروا مسلمين فقط بالتبعية أو بالاسم، أي أنهم وجدوا آبائهم وأجدادهم على هذا الدين فاتبعوه دون أن يفهموا معناه ومقصده ،وكأن الإسلام هو مجرد دين يتوارث عبر الأجيال ،وهذا الأمر أدانه الكواكبي كثيرا لهذا حاول تقديم علاج لهذه الآفة التي أصبحت منتشرة بين أبناء عصره على حد سواء ورأى أن "علاج هذه الآفة أن يعاد الدين إلى بساطته الأولى التي يسرت فهمه لمن تقبلوا دعوته في صدر الإسلام ولا تزال تيسره لمن يدعوا إليه على بساطته وسهولته بين أبناء الشعوب الفطرية ."[2]

إن فهم الدين ليس بالأمر العسير أو الغامض لذلك دعا الكواكبي إلى إرجاع الدين إلى بساطته الأولى، أي انه يخاطب الداعين إلى هذا الدين إلى تيسيره وتبسيطه ليكون مفهوما لدى الجميع والعامة من الناس ،وطالب المسلمين أن يجتهدوا في فهم ومعرفة فرائض دينهم وعقائده حتى يصبح إيمانهم صحيحا لان الإيمان الصحيح لا يكون فقط بإتباع درب السلف دون معرفة محتوى الدين.

"وعلى أساس من هذا يمكن القول أن الأرضية التي انطلق منها الكواكبي في أفكاره الإصلاحية هي أرضية دينية وهي بالأحرى أرضية الإسلام ،لكنه الإسلام الأول النقي الذي يريد له أن يكون خلوا من كل ما علق به وأضيف اليه".[3]

-إن ما يمكننا قوله هو أن عبد الرحمن الكواكبي هو من المجددين للدين حيث يرجع في إصلاحاته الدينية إلى الدين الإسلامي الأول الذي لم تمسسه يد التغيير والتشويه.

---

[1] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي ،مرجع سابق ،ص115.

[2] المرجع نفسه، ص115.

[3] سمير أبو حمدان ، موسوعة عصر النهضة ، عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد، مرجع سابق، ص79.

وأثناء تشخيصه للداء الذي أدى بالأمة العربية إلى الهوان والفتور رأى أن الجهل هو سبب من تلك الأسباب، لان الجهل الذي انتشر في الأمة جعل بعض الأشخاص يفسرون العقيدة الدينية كما يهوون ،والكسل الذي أصاب العلماء والعامة من الناس سمح للجندية الجبرية أن تؤثر على الناس، فأصبح الناس يختلفون فيما بينهم مما أدى إلى إحداث التفرقة في الدين مما جعلهم ينقسمون إلى مذاهب وفرق فانتشرت عادات وتقاليد غربية عن روح الإسلام ،"في حين راح بعض المتعممين يخلطون في تفسير الآيات بسبب جمود كثير من العلماء وتشددهم بالاكتفاء بتفسيرات السلف".[1]

فالكواكبي نجده يتوجه بالنقد إلى العلماء اللذين لم يكلفوا أنفسهم عناء الاجتهاد والبحث واكتفوا في تفسير الآيات على تلك الادعاءات التي جاء بها بعض المتشددين اللذين أرادوا إخراج الدين من محتواه ."ورأى الكواكبي أن حل هذه المشكلة يكون في حملة دعائية صحفية تقضي على تراجعهم وجمودهم لأنهم هم الجسر الذي يعبر عليه الجهال لإنشاء الاستبداد الديني"[2]

إن الكواكبي يقدم لنا الحل لتلك المشكلة المتعلقة بأولئك الجامدين اللذين ضيعوا معنى الدين وضيعوا الناس معه ويبين لنا تلك الفئات المستبدة التي تجعل من العلماء الجامدين الجاهلين مجرد آلات يشغلونها في خدمة مصالحهم وأغراضهم."فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح في الحال والسعادة والفلاح في المال"[3]

إن صلاح الدين وخلوه من الخرافات والبدع هو الذي يؤدي بدوره إلى صلاح أحوال الأمم لأن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان وفيه الحل لكل مشكلة تعترض حياة الإنسان، كما أن الدين بتعالمه السمحة جاء ليخرج الأمة من ظلمات

---

[1] د .محمد جمال طحان ، أعمال الكوكبي غير الكاملة ،ص87.

[2] المرجع نفسه، ص88

[3] السيد الفراتي ،أم القرى، المكتبة المصرية بالأزهر 1931 للنشر و التوزيع، ص22.

الجهل إلى طريق النور ويقضي على كل استبداد أو ظلم يجعل من الإنسان الذي كرمه الله على سائر المخلوقات مجرد آلات يستغلها المستبدين لخدمة مصالحهم.

بحيث جاء في كتاب أم القرى للسيد الفراتي على لسان الفاضل الشامي "إني أرى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والأخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الأمة جبرية باطناً قدرية ظاهرا".[1]

إنه من بين تلك العقائد التي تجعل الإنسان يعيش كالميت رغم انه حي يرزق تلك العقيدة الجبرية التي أبطلت سعي الإنسان وقضت على سبل سعادته في الدنيا تحت شعار التزهد في الدنيا، وبالتالي نجد أن تلك الشعارات التي جاء بها بعض المدلسين هي التي أفرغت الدين من محتواه فابتعد الناس عن دينهم.

كما جاء أيضا على لسان المحقق المدني أن سبب الفتور يكمن في "تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله وذلك أن الدين يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة".[2]

يقال أن العلماء هم ورثة الأنبياء ،وبالتالي فإن لهم الدور المهم في هذه الأمة والمتمثل في تنوير عقول الناس وإرشادهم إلى ما فيه خير وصلاح لأحوال دينهم ودنياهم ،إلا أن بعض المدلسين وغلاة المتصوفين أصبحوا هم سبب الفتور الذي لحق بالأمة بحيث شوهوا حقائق الدين وفسروا القران الكريم بتفسيرات أضافوا عليها الخرافات والبدع مما جعل الدين يدخل تحت ولاية أولئك المتعممين إن صح القول ،وحرفوا العديد من الآيات ومن أمثلة ذلك تحريفهم لمعنى الآية الكريمة "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض "إلى ولاية الشهادة دون الولاية العامة وهكذا غيروا

[1] السيد الفراتي ،أم القرى، ص23.

[2] المصدر نفسه، ص35.

مفهوم اللغة وبدلوا الدين وطمسوا على العقول حتى جعلوا الناس ينسون لذة الاستقلال، وعزة الحرية، بل جعلوهم لا يعقلون كيف تحكم امة نفسها بنفسها دون سلطان قاهر"[1]

كذلك نجد أن أولئك العلماء المتعممين مقربون جدا من الأمراء و هذا الأمر يخول لهم فرصة بث دسائسهم في عقول الأمراء "ومن أهم دسائس المتعممين أنهم ينفثون في صدور الأمراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وان كان مضراً ومعاداة الشورى وان كانت سنة و المحافظة على الحالة الجارية وان كانت سيئة ويلقون عليهم بان مشاركة الأمة في تدبير شؤونها وإطلاق حرية الانتقاد لها يخل بنفوذ الأمراء ويخالف السياسة الشرعية "[2]

فهؤلاء المدلسين إذن يقومون باستغلال الدين ومكانتهم وقربهم من الأمراء لكي يسطروا على عقولهم بزرع بعض الأفكار التي أرجعوها إلى الدين كأن يحثوهم على اتخاذ قراراتهم فيما يتعلق بشؤون الناس والرعية دون الاعتماد في ذلك على الشورى التي تعد جد مهمة في اتخاذ أي قرار مدعين بأن مشاركة الرعية بتلك القرارات التي تخصهم فيه إهانة للأمراء وهو مخالف لقوانين الشريعة. فاستغل الأمراء هذه الحجج إذ نجدهم "يقتبسون من هذه الحجج ما يتسلحون به في مقابلة من يتعرض على سياستهم من الدول الأجنبية بقولهم أن قواعد الدين الإسلامي لا تلائم أصول الشورى ولا تقبل النظام والترقيات المدنية وأنهم مغلوبون على أمرهم ومضطرون لرعاية دين رعاياهم ومجالات ميل الفكر العام".[3]

إن تلك الحجج الواهية التي أقامها المدلسين سمحت للأمراء من بسط استبدادهم أكثر فأكثر مما جعلهم يرون على كل من عارض سياستهم على أن تلك السياسة تتماشى مع قواعد الدين الإسلامي ومع دين رعاياهم وأن الشورى لا مكان لها في هذا

---

[1] عبد الرحمن الكواكبي ،طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع،ص28.

[2] السيد الفراتي ،أم القرى، مصدر سابق، ص45.

[3] المصدر نفسه، ص45-46.

الدين. "وبهذه القوانين استأثر الجهلاء الفاسقون بمزايا العلماء العاملين واغتصبوا أرزاقهم من بيت المال ومن أوقاف الأسلاف فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل العلوم و ثبطت الهمم وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء ببلغة منه ويشتغل بالاحتراف للارتزاق وهكذا فسد العلم وقل أهله فاختلت التربية الدينية في الأمة فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور ".[1]

إن هذه القوانين جعلت الجهلاء يتصفون بصفات العلماء فأدى ذلك إلى الابتعاد عن الاجتهاد وتحصيل العلم وانتشرت بعض البدع التي لا أساس لها من الصحة ففسد العلم واختلت التربية الدينية ولم يبق من أهل العلم وطلابه إلا بعض العناصر القليلة التي لا تظهر بالمقارنة مع الجهال الكثر.

وبالتالي نجد الكواكبي يشدد على دور العلماء في تبسيط هذا الدين وتيسيره للعامة من الناس وتقديم الدليل لإقناعهم لان "العامة يهديهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الإقناع ،فالعلماء لا يجسرون على أن يفتوا في مسألة مطلقاً مالم يذكروا معها دليلها من الكتاب أو السنة أو الإجماع ،حتى لو كان المستفتي أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل ،

و طريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الأربعة أجمعين".[2]

ونفهم من خلال أن العلماء يحملون على عاتقهم مسؤولية عظيمة تكمن في إرشاد الناس إلى دينهم وتبيين الخطأ من الصواب ،وحثهم على ما يجب أن يتبعوه وما ينبغي أن يتركوه وهذا الأمر دون شك لابد أن يكون مع وجود الدليل إما من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أو من الإجماع ولا يجوز لأي عالم أن يقوم بالفتوى من دون دليل حتى وان كان الشخص الذي توجه له الفتوى أعجمياً وليست له أدنى فكرة عن الدليل لان هذه الطريقة اتبعها الصحابة ومن تبعهم من أئمة و مجتهدين وفقهاء.

---

[1] السيد الفراتي، أم القرى، مصدر سابق، ص46.

[2] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي ،مرجع سابق ،ص115.

ومن الضروري الإشارة إلى أن الكواكبي قد ذكر بعض الصفات والمهارات التي لابد على العالم أن يتصف بها لكي يتمكن من إتقان المهام الموجهة له على أكمل وجه ولعل من هذه الصفات أولا: أن يتقن اللغة العربية وان يكون مطلعا على كتاب الله تعالى وفاهماً لكل معانيه ،وكذلك أي يكون متطلعا على السنة النبوية الشريفة وعلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

كما دعا أيضا إلى غلق الباب أمام طوائف الوسطاء اللذين يقصد بهم الكهان وغيرهم الذين يستغلون الخفايا والأسرار من الدين لخدمة أنفسهم ومصالحهم

وتحدث الكواكبي أيضا: عن الإيمان، فهو يرى أن الإسلام هو دين الإيمان على عكس الديانات الأخرى المحرفة ، ويقول إذا قسمت الديانات لمعرفة أي منها هو دين الإيمان وأي منها هو دين المراسم والتقاليد فمن دون شك سيكون الإسلام هو الدين الذي يغلب فيه الإيمان كما يرى أن معرفة الناس لله أمر فطري في البشر إلا انه يختلف من شخص إلى آخر حسب إدراك وتقبل كل شخص ومدى شعوره بوجود هذه القوة التي تسير هذا الكون والكائنات ،وهذا ما يعرف بالضلال والهداية [1]

ويرى أن "أصل الإيمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم ، فلا يحتاجون فيه إلى الرسل وإنما حاجتهم إليهم في الاهتداء إلى كيفية الإيمان كما يجب من التوحيد والتنزيه"[2]

إن الإيمان بوجود الله أمر فطري في الناس ، وهذا يجعلهم غير محتاجين فيه إلى الرسل وإنما يحتاجون إلى الرسل في الاهتداء ومعرفة كيفية الإيمان بالله تعالى الذي يجب من التوحيد المتضمن في كلمة لا اله إلا الله ومعناه عدم التوجه بالعبادة إلى غير الله تعالى ،فالعبادة والخضوع لا يكون إلا الله وحده لا شريك له.

---

[1] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص119 ،120

[2] المرجع نفسه، ص120.

ويتلخص الإصلاح الديني الذي قام به الكواكبي "في تصحيح الإيمان واعتبار الشرائع والفرائض آية على صحة الإيمان ، تدل على سلامته بمقدار سلامتها من تشبيهات الوثنية وعوارض الشرك والزيغ عن الوحدانية ،ولا بقاء للظلم والفساد مع هذا الإيمان و لكنهما قد يبقيان و يطول بقاؤهما مع قيام الشعائر التي فارقتها روح الدين ،ولم يتخلف منهما غير الرسوم والأشكال".[1]

إن الإيمان الصحيح يرتبط بصحة وسلامة الشعائر والفرائض، ومتى صلحت الشعائر في وجودها ولم يبق منها إلا ظاهرها.

ولقد كان عصر الكواكبي يعاني من أزمة دينية لأنه في هذا العصر وفي أواخر القرن الثامن عشر اصطدم الدين بالعلم في الغرب مما أدى بالكثير من الناس بأن يروا أن الدين مجرد مسألة ترتبط بعصور سابقة ، ثم انتقلت هذه الرؤية إلى الشرق وانتشرت بين المسلمين ،خاصة بين طائفة من اللذين تعلموا في أوروبا أو على الطرق الغربية ،فلم يأخذوا سوى الأمور السطحية أو البقايا العلوم ولم يكن رصيدهم المعرفي فيما يتعلق بالدين بأفضل حال ،مما جعل الكواكبي لا يرى خيرا في هذه الفئة وذكر "في الاجتماع الثامن من مؤتمر أم القرى وأما الناشئة المتفرنجة فلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم ،وذلك لأنهم لا خلاق لهم تتجاذبهم الأهواء كيف شاءت"[2]

ويرمى الكواكبي من خلال قوله هذا إلى أن هذه الفئة من الناس ويقصد بهم الأجيال الناشئة المتأثرة بالحضارة الغربية إنه لا فائدة منها في إصلاح المجتمع ،فهي لا تملك النفع والخير حتى لنفسها ،وان كانت كذلك فكيف يعقل أن تنفع أوطانها وأقوامها!.

[1] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق ،ص123.
[2] المرجع نفسه، ص122.

وقد قام الكواكبي بوصف فئة من الناس وسماهم "الواهنة" وهم حسب رأيه ينقسمون إلى قسمين :قسم منهم لا يعلم شيئا من أمور الدين ولا العلم والقسم الثاني هم اللذين درسوا على يد مدرسين ربطوا الدين بالخرافة ومزجوا بينهما ، حسب رأيه كل من القسم الأول والقسم الثاني جاهلين بأمور الدين وبعلوم عصرهم ، كما أن العلم الحديث يشكل لديهم صدمة ويجعلهم ينفرون منه إلى درجة أنهم لا يكلفون أنفسهم حتى بالبحث في هذه العلوم ومحاولة معرفة الخطأ من الصواب .[1]

وهذه الفئة حسب رأي الكواكبي هيَ التي تحتاج إلى الإصلاح الديني وذلك لتصحيح نظرتهم الخاطئة والمنغلقة حول ما يتعلق بالدين والعلم الحديث على حد سواء.

-أما الفئة الثانية التي تكلم عنها الكواكبي فهي تلك التي سماها "بالطائفة المثلى" [2] وتكلم قائلا عنهم أنهم من "اللذين افلتوا من إرهاق الجمود وتمردوا على أوهمام الخلافة واطلعوا على حظ حسن من العلم الحديث فوضح لهم انه يرتهن به التقدم وتستمد منه القوة التي يصول بها الأوربيون على بلادهم ،وانه هو العلم الذي يدعوهم إليه كتابهم ويحضهم عليه في كل آية من آيات الأمر بالتفكير والتدبر والنظر في ملكوت السماء والأرض والعمل الصالح في سبيل الدين والدنيا."[3]

فهذه الطائفة كما وصفها الكواكبي لم تستسلم للجمود والخرافة ، بل بحثت واجتهدت في هذا العلم الحديث بغية الأخذ بالأمور الايجابية ونقاط القوة في هذا العلم مثلما فعل الأوربيون ،كما أن المسلمون هم أولى بالتدبر والبحث والاجتهاد لان هذا الأمر حث عليه القرآن الكريم ،ولان كل آية من آياته تدعوا إلى التدبر في الأرض والسماء .

[1] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق،ص122

[2] المرجع نفسه، ص122.

[3] المرجع نفسه ، ص122.

وأيضا قام الكواكبي بتقسيم هذه الطائفة إلى قسمين :أولهما جعل من العلم فريضة تتوافق مع الدين ،وأما القسم الثاني فهو الذي اجتهد في هذا العلم الحديث وحاول أن "يبين مكانها من القرآن الكريم وان يردها إلى آيات تحتويها وتتقبل التفسير بمعانيها".[1]

ثم إن أي علم يتوصل إليه أي عالم وفي أي زمان إلا ويكون قد ذكر في القرآن الكريم ،ومن أمثلة ما توصل إليه العلم وقد ذكر في القرآن الكريم هو "أنهم قد كشفوا أن مادة الكون هي الأثير وقد وصف القرآن بدء التكوين فقال "ثم استوى إلى السماء وهي دخان".

وكشفوا أن الكائنات في حركة دائمة ،والقرآن يقول "وآية لهم الأرض الميتة أحييناها" إلى أن يقول "وكل في ذلك يسبحون".[2]

وغيرها من العلوم التي اكتشفت وكانت قد ذكرت في القرآن الكريم وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عظمة هذا الخالق الذي له دراية ما في الأرض وما في السماء.

-ومن خلال ما ذكرناه سابقا يمكننا القول أن ضرورة ربط العلم بالدين هو من أهم الأفكار الإصلاحية التي جاء بها الكواكبي ، كما أن الإصلاح الديني عنده مرتبط بإصلاح المجتمع كما انه يرى أن مهمة المصلح لا تكمن في محاربة هذا العلم وإنما تكمن في البحث والاجتهاد وعلى المصلح أن "ينظر كيف يقنع باسم الدين من يعارضون الإصلاح باسم الدين ،لأنه جديد ولا محل للجديد عند الجامدين على القديم".[3]

فالكواكبي لم تكن نظرته كنظرة بعض رجال الدين اللذين يرون في كل علم جديد انه يتنافى مع ما ورد في الكتب المقدسة ،والكواكبي يرى حيال هؤلاء الأشخاص ويصفهم بأنهم يحاربون العلم والدين بدليل أن العلم والدين متوافقان وكل ما توصل إليه من علم

---

[1] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق،ص122.

[2] المرجع نفسه، ص123.

[3] المرجع نفسه، ص128.

اليوم قد ذكر في القرآن والكواكبي كان مطلعا على العلم الحديث وهذا ما جعله يوفق في نظرته هذه.

يرى الكواكبي أن الإصلاح الديني ينتج عنه الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وإذا فسد الدين فسدت معه السياسة والاقتصاد والأخلاق ، لان ثمة علاقة تربط المجال الديني بالمجال السياسي بحيث "تظافرت آراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني ،والبعض يقول إن لم يكن هناك توليد فهما أخوان أبوهما التغلب وأمهما الرياسة أو هما صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون الأمتان والمشاكلة بينهما أنهما حاكمان احدهما في مملكة الأجسام والأخر في عالم القلوب".[1]

إن ما هو واضح أن العلاقة القائمة بين المجال الديني والمجال السياسي تجعل صلاح الأول من صلاح الثاني وفساد الأول من فساد الثاني فهما إذن وجهان لعملة واحدة لذلك نجد الاستبداد السياسي ناتج عن الاستبداد الديني "إن السياسة تتكاتف مع مدعي التفقه في الدين ،إذ يعطي كل منهما الآخر ما ينقصه ليبني استبداده . فالديني يملك الفكر الذي يمكنه بواسطته أن يسيطر على الأمة ،إلا أنه يفقد القوة التي بها يحافظ على استبداده ،فيلجأ إلى الاستعانة بالسياسي الذي يمده بتلك القوة التي تسد ثغرة المعرفة بالعنف"[2]

هناك علاقة قائمة بين رجل الدين و السياسي ،فرجل الدين ليقيم استبداده هو بحاجة إلى النفوذ والقوة التي يقدمها له رجل السياسة والسياسي ليبسط نفوذه واستبداده يحتاج إلى رجل الدين الذي يغير مفهوم الدين وجوهره حسب ما يريده السياسي ويقنع العامة به

[1] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،مصدر سابق ص 21.

[2] د، جمال طحان ،اعمال الكواكبي الكاملة ،مرجع سابق ،ص 89.

على انه هو الدين الصحيح وبالتالي خضوع العامة لاستبداد كل من السياسي ورجال الدين المدلسين.

المطلب الثاني: في المجال السياسي:

إن علم السياسة هو من بين أهم العلوم التي اهتم بها الكواكبي، لذلك ركز في إصلاحاته على إصلاح النظام السياسي ،إذ نجده يحاول معرفة الداء الذي لحق بالأمة العربية، ثم يقوم بتشخيص هذا الداء ثم إيجاد الدواء بعد ذلك ،ومن الضروري الإشارة إلى أن ما دفع الكواكبي لإصلاح النظام السياسي هو دون شك ذلك الاستبداد * الذي ساد عصره في فترة حكم الدولة العثمانية ، هذا الاستبداد الذي جعل من الأمة العربية امة متخلفة وتعاني الركود والانحطاط في جميع المجالات.

يعد عبد الرحمن الكواكبي من ابرز المصلحين الذين تعرضوا للاستبداد ،"غير أن فلسفة عبد الرحمن الكوكبي في الاستبداد لم تصدر عن تجربته الذاتية بقدر ما صدرت عن نظر عقلاني هادئ يتمحور حول أقطاب ثلاثة :الفرد والمجتمع والدولة. إن هذه الأقطاب الثلاثة يرتبط بعضها بالبعض الآخر وفق علاقة جدلية لا يمكن تفكيكها. من هنا سعى الكواكبي إلى نهضة الفرد بواسطة التربية ،و نهضة المجتمع بواسطة الحرية و نهضة الدولة بواسطة التقيد بالقوانين والدساتير".[1]

إن فلسفة عبد الرحمن الكواكبي كانت ناتجة عن نظرة عميقة ودقيقة فهو لم يتطرق إلى فلسفة الاستبداد بسبب ما تعرض له هو، وإنما كانت نظرته عامة تشمل الفرد والمجتمع

---

*الإستبداد: لغة: هو غرور المرء برأيه و الأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة، ويراد بالاستبداد عند إطلاقه إستبداد الحكومات خاصة لأنها مظاهر أضراره التي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة، وأما تحكم النفس على العقل، الأب، الأستاذ، الزوج، رؤساء بعض الأديان، و بعض الطبقات، فيوصف بالإستبداد مجازاً أو مع الإضافة.

[1] سمير أبو حمدان –موسوعة عصر النهضة –عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد– مرجع سابق، ص 121

والدولة بحيث رأى أن هذه الأقطاب الثلاثة متصلة فيما بينها وكل عنصر من هذه العناصر يكمل العنصر الآخر ولذلك ركز على تربية الفرد تربية صالحة لتحقيق نهضة ،والمطالبة بحرية المجتمع من تلك العادات والتقاليد الغريبة التي فرضتها السلطة العثمانية باسم الدين لتقيد بذلك حرية المجتمعات وطالب بإحداث نهضة الدولة عن طريق احترام القوانين والعمل بها لتنظيم حياة العامة و إحقاق نهضة.

لقد حكمت الدولة العثمانية البلاد العربية من القرن السادس عشر إلى غاية القرن التاسع عشر، إلا انه وفي السنوات الأخيرة أصبح الحكام يمارسون كل أنواع التسلط والاستبداد مما دفع بالبلاد العربية إلى الانحطاط المستمر فتدهورت كل مجالات الحياة وأصبحت الأمة العربية مستعبدة في أراضيها إذ "يقولون أن السياسيين يبينون كذلك استبدادهم على أساس من هذا القبيل فهم يسترهبون الناس بالتعالي الشخصي والتشامخ الحسي ويذللونهم بالقهر والقوة و سلب الأموال حتى يجعلوهم خاضعين لهم عاملين لأجلهم يتمتعون بهم كأنهم نوع من الأنعام التي يشربون ألبانها ويأكلون لحومها و يركبون ظهورها وبها يتفاخرون".[1]

فالحكام المستبدون يؤسسون استبدادهم على استعباد الناس وإخافتهم واخذ كل ثرواتهم وممتلكاتهم بالقوة ويجعلونهم خاضعين لهم ينفذون أوامرهم دون اعتراض فتصبح الرعية كالأنعام يستغلها الحكام كيفما شاؤوا دون أن يعارضهم في ذلك أي احد.

لقد دعا الكواكبي إلى الإطاحة بالنظام السياسي العثماني لأنه السبب الرئيسي الذي كان يقف عائقاً في وجه نهضة العرب ،إذ طالب بالأخذ بالجوانب الايجابية من الحضارة الغربية والتي يمكنها أن تحقق نهضة للعرب وفي مقابل ذلك دعا أيضا إلى إقامة قوانين تكون مبنية على الحرية والعدل والمساواة التي كانت أساس ازدهار الخلافة

[1] عبد الرحمن الكواكبي ،طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص22.

الإسلامية سابقاً والتي اختفت من المجتمعات العربية والسبب في ذلك هو السلطة العثمانية التي غيرت مفهوم الدين.

رأى بان نهضة العرب يمكن أن تحقق إذا ما رجع العرب إلى الإسلام الأول ويقصد بالإسلام الأول ذلك الإسلام الذي جاء به خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام والذي لا يسوده تشويه.

يرى الكواكبي أن القضاء على الاستبداد والتخلص منه يتصل بجانين يتمثل الأول في الدور الذي يؤديه العلماء في القضاء على الاستبداد " فيرى أن العلماء يتحملون عبئا كبيرا في مقاومة

الاستبداد « فالمستبد عاشق للخيانة والعلماء منبهون ومحذرون وللمستبد أعمال وهوالج لا يفسدها عليه إلا العلماء»".[1]

إذن للعلماء الدور البالغ الأهمية في توعية الناس وإرشادهم إلى سبل التخلص من سيطرة الحكام واستبدادهم ،كما أنهم يفضحون سياسة المستبدين وبالإضافة إلى دور العلماء يذكر عبد الرحمن الكواكبي أيضا دور العوام فنجده يقول :" «يسعى العلماء في نشر العلم ويجتهد المستبد في إطفاء نوره ،والطريقان يتجاذبان العوام ومن هم العوام؟!...هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا ،وإذا خافوا استسلموا وهم الذين متى علموا قالوا ومتى قالوا فعلوا...»"[2]

لابد أن العوام هم الفئة المشتركة بين المستبدين والعلماء ،إذ يقوم العلماء ينشر العلم وتنوير طريق العامة وإرشادهم إلى ما هو صالح ونافع لهم وفي مقابل ذلك نجد المستبد يحاول دائما إطفاء نور العلم ونشر الجهل في أوساط العامة لكي يتمكن من السيطرة عليهم ،إلا أن العوام هم الذين يملكون مفاتيح التغيير، " أما الجانب الثاني فهو

---

[1] صلاح زكي احمد ،أعلام النهضة العربية في العصر الحديث ،مركز الحضارة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ،القاهرة 2001،ص54.

[2] المرجع نفسه، ص54.

الديمقراطية، والتي يعتبرها الكواكبي سلاح الأمة في مواجهة المستبد ، بل وطريقها إلى التقدم "[1]

فالديمقراطية إذن تعني الحرية ولعل أهم شيء يستطيع أن يوقف المستبد والقضاء على استبداده هو الحرية ،فالمستبد أول شيء يقوم به هو تقييد حرية المجتمعات والأفراد،و الحرية التي يرمي إليها الكواكبي هو أن يكون الفرد حرا فيما يفعل وحرا فيما يقول ولا تحد من حريته هذه أية سلطة.

"وقد وضع الكواكبي يده على أهم غاية تسعى إليها السلطة ،وهي أن يبقى الشعب جاهلا ،فيبقى بالتالي خاضعاً لأمرائه الجاهلين الذين يتشذقون بالإصلاح السياسي ،ويبطنون الإصرار والعناد على ما هم عليه من إفساد دينهم ودنياهم".[2]

نلاحظ أن عبد الرحمن الكواكبي له نظرة واسعة فهو يرى أن الأمراء هم جزء من هذا الشعب وبالتالي لا يمكننا أن نحملهم وحدهم مسؤولية ما يعانيه الشعب .إذ أن العامة هم الذين يتخبطون في ظلمات الجهل قد اعتادوا على هذه الأوضاع التي يعيشونها وهم لا يكلفون أنفسهم عناءاً لمحاولة التغيير ،واعتادوا أن يعيشوا أذلاء مما جعلهم لا يفرقون بين الخطأ والصواب وأصبحوا يرون في المصلحين على أنهم خارجين عن الدين .

"وتبدوا لنا النظرة المتعمقة والمتفهمة لدى الكواكبي حين ينتقد السلطة الاستبدادية لكونها غريبة عن رعيتها أي غير متجانسة معها ،فقد لاحظ أن أعظم الملوك و القواد الفاتحين كانوا متجانسين مع رعياهم وجيوشهم في الأخلاق والمشارب واللغة تجانسا تاما ،كأنهم رؤوس لتلك الأجسام ،لا كرأس جمل على ثور..."[3]

---

[1] صلاح زكي أحمد ،أعلام النهضة العربية في العصر الحديث، مرجع سابق ص،54.

[2] د. ماجدة حمود ،عبد الرحمن الكواكبي ،فارس النهضة والادب ، دراسة اتحاد الكتاب العرب للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق 2001، ص26.

[3] المرجع نفسه، ص26.

إن الكواكبي يرى أن نهضة العرب لا يمكن أن تتم مادام هناك اختلاف بين الحاكم والمحكوم وهذا الاختلاف في رأيه هو الذي كان سبب تخلف العرب ،ومشيرا إلى تطور العرب سابقاً لأنه لم يكن هناك اختلاف بين الحاكم والرعية وان الحكام الفاتحين كانوا متجانسين مع رعياهم .

"إن التطابق بين الحاكم والمحكوم الذي يسعى إليه الكواكبي يجعل الأمة تعد رئيسها رأسها ،فتتفانى في حفظه كما يتفانى في رعيتها ،وهو هنا لا يكتفي بالتلميح إلى أن السلطة العثمانية غريبة عن العرب ،بل نجده يصرح مستخدما قول الحكيم المتنبي:

إنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوك عجم."[1]

و رأى أن سبب الانحطاط و فتور الأمة العربية هو بقائها تحت حكم ووصاية الحكام العثمانيين أو ما سماهم بالحكام الأعاجم لأنه كان يرى أن حكم العرب من قبل الأعاجم ليس فيه خير للأمة العربية كون عاداتهم وتقاليدهم مختلفة عن بعضها البعض، فكيف لحاكم له عادات وتقاليد أن يحكم شعب بعادات وتقاليد أخرى، بحيث لا يمكن لهذه الأمة أن تتطور وتزدهر ما دام هناك اختلاف بين الراعي والرعية.

"فالغاية الماثلة أمام المجاهدين في سبيل اليقظة العربية هي "الاستقلال" وإقامة الدولة التي يقيمها العرب و يرعاها العرب والمطالبة في انتظار تحقيق هذه الغاية بخير ما يمكن من وجود الإصلاح التي تزيل أسباب الخلل في إدارة السلطنة العثمانية".[2]

نفهم من خلال هذا القول انه لكي يحقق العرب نهضتهم لا بد لهم من الاستقلال ويقصد بالاستقلال هنا استقلال العرب من حكم الأعاجم وإقامة دولة عربية يحكمها حاكم عربي أو مصلح عربي من شأنه القضاء على كل مظاهر التسلط والقضاء على الجهل والتخلف الذي ساد البلاد العربية أيام فترة حكم الدولة العثمانية.

---

[1] ماجدة حمود ،عبد الرحمن الكواكبي ،فارس النهضة والادب، مرجع سابق، ص27.

[2] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي ،مرجع سابق، ص 139.

و يرى الكواكبي أيضا أن سبب انحطاط الأمة العربية هو عدم محافظتها على قوانين الشريعة واستخدامها بطرق غير سليمة في بعض أمور الإدارة " وقد صرح الكواكبي بالحل الملائم لهذه المشكلات السياسية والقانونية للبلاد العربية ولبلاد الدولة عامة في أطوار الانتقال فقال في هامش الصفحة التي سرد فيها أسباب الخلل من أم القرى :إن من أهم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي إداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم ،كما هي الحال في إمارات ألمانيا وولايات أمريكا الشمالية ،وكما يفعله الإنكليز في مستعمراتهم والروس في أملاكهم".[1]

في رأي الكواكبي الاستقلال هو الحل المناسب لهذه الأزمة التي لحقت ببلاد العرب ورأى أن يحصل أهالي تركيا على استقلال يتناسب مع عاداتهم وتقاليدهم مثلما هو الحال في معظم البلاد الغربية.

يرى الكواكبي أن الجندية الجبرية هي التي نالت من الأمة وجعلتها من أشقى الأمم وهي اشد من الاستبداد ،إن ما يمكننا قوله هو أن الجندية الجبرية هي التي ساهمت في إفساد أخلاق الناس وجعلت منهم مجرد أجسام تقوم فقط بالطاعة العمياء للحكام ولا تقوم بأدنى نشاط أو عمل سوى الاتكال وجعلت منهم أجسام بلا عقل وبلا تفكير وهذا من شأنه أن يميت فكرة الاستقلال مما أدى إلى انتشار الاستبداد و بقوة اكبر ويقول الكواكبي إن لا حكومة قد سلمت من الاستبداد ،لا حكومة الحاكم الفرد لا حكومة الحاكم الذي تأيّده الجماعة بل كلا الحكومتين ترتبط بالاستبداد ،ولا يرتفع هذا الاستبداد عن الأمة ما دامت هذه الأمة تعيش في غفلة وجهالة.[2]

ولأن غفلة الأمة تجعل الحاكمين يتصرفون كيفما شاؤوا وهذا يزيد من شدة الاستبداد وفي رأيه أيضا أن الحكومة الصالحة الخالية من الاستبداد لا بد " أن يشترك فيها من

[1] د. عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص141.

[2] المرجع نفسه، ص 144.

عناهم القرآن الكريم بأهل الذكر واصطلح الفقهاء على تسميتهم بأهل الحل والعقيدة من قادة الأمة وهداتها".[1]

لقيام حكومة صالحة لابد من ارتباط الحكومة بعلماء الدين أو ما سماهم بأهل الذكر لأنهم يسهرون على تطبيق أحكام الشريعة وهم على دراية بما هو صالح من الأحكام والقوانين وهم اعلم بما يتناسب من قوانين مع أحكام الشريعة وما يتنافى مع ذلك، لذلك لابد للحكام أن يستشيروا أولاً هذه الطبقة من العلماء وهذا من شأنه القضاء على الاستبداد وقيام الحكومة العادلة.

وقد تطرق الكواكبي إلى موضوع الألقاب التي تلقب بها فئات معينة في الحكومة وقال بان أصحاب هذه الألقاب هم الذين يخدمون الاستبداد ،والحكومة الصالحة العادلة لا تصنع أي فروق بين الأفراد لا فيما يتعلق بعمل أو خدمة تخدم المصلحة العامة ولا يكون تمييزه بإعطائه لقبا وأن يعلق له وسام وإنما يكون التمجد كما قال "أن يتقلد الرجل سيفا من قبل الجبار يبرهن به على انه جلاد في دولة الاستبداد".[2]

فالتمجّد في رأي الكواكبي هو ليس إعطاء الألقاب والأوسمة لمن يخدمون الاستبداد وينشرونه وإنما التمجّد هو أن يحارب الرجل هذا الاستبداد و يرهب المستبدين و يبين للمجتمع انه محارب بل وجلاد في دولة الاستبداد.

كما حارب التمايز بين الطبقات ورأى انه " لا فرق بين طائفة و طائفة في التخلق بأخلاق الاستبداد متى قام الأمر على الحكم المطلق وامتنعت المساواة في الحقوق في كل فروعها ،من المستبد الأعظم إلى الشرطي إلى الفراش إلى كناس الشوارع ولا يكون كل صنف إلا من أسفل أهل طبقته أخلاقاً ،لان الأسافل لا يهمهم جلب محبة الناس .إنما غاية مسعاهم اكتساب ثقة المستبد فيهم بأنهم على شاكلته وأنصار لدولته".[3]

---

[1] عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص142.

[2] عبد الرحمن الكواكبي ،طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق ،ص43.

[3] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق ،ص145.

إن الحكومة المستبدة تكون كل طبقاتها مستبدة من الحاكم المستبد إلى العامل الذي يكنس الشوارع و بالتالي لا فرق بين هذه الطبقات ما دامت كلها مستبدة ولا تعمل إلا على نشر الاستبداد ويقومون بالاستيلاء على ممتلكات الناس وحقوقهم وكل ما يهمهم في ذلك زيادة نفوذهم وكسب ثقة حاكمهم المستبد وتزيد وتقل هذه الفئة حسب مدى انتشار الاستبداد ومتى كان الحاكم مستبدا أكثر احتاج في ذلك إلى زيادة جيش المستبدين الخادمين له وتكون هذه الطبقات من التمجديين من الناس الذين لا يملكون لا دين ولا أخلاق ويعطيهم الحاكم مراتب ووظائف في حكومته ويكونون مقربين له يحافظون على حكومته المستبدة.

ويرى الكواكبي أن الحل في ذلك هو الإقتداء بأخلاق الحاكمين السابقين الصالحين، و يضع فرقاً واضحاً بين الاقتداء بهم و بين تقديسهم والاقتداء بأخلاق أولئك الحكماء والراشدين من شأنه القضاء على الاستبداد وقيام الحكومة العادلة بدليل أن " حكومة الخلفاء الراشدين التي لم يسمع الزمان بمثال لها بين البشر حتى ولم يخلفهم فيها بين المسلمين أنفسهم خلف إلا بعض شواذ كعمر بن عبد العزيز والمهتدي العباسي و نور الدين الشهيد ، فان هؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى ومغزى القرآن النازل بلغتهم وعملوا به و اتخذوه إماماً، فأنشؤوا حكومة قضت بالتساوي حتى بينهم أنفسهم وبين فقراء الأمة في نعيم الحياة شظفها".[1]

لقد جاء الدين الإسلامي بتعاليم سمحة لتنظيم حياة الناس في أي زمان ومكان واهم تعاليمه محاربة الاستبداد وإعلاء العدل والمساواة وهذا ما أدى بالمملكة الإسلامية تزدهر أيام الخلفاء الراشدين وتصل إلى أعلى مراتب الحضارة لان هؤلاء الخلفاء الراشدين اتبعوا في حكمهم تعاليم القرآن الكريم لأنهم فهموا محتوى هذا الدين وما يرمي إليه وساروا على نفس الطرق سار عليه النبي عليه الصلاة والسلام والذي يعتبر

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص25.

أعدل حاكم عرفته البشرية كلها وبالتالي لم تعرف حكومتهم آنذاك أي نوع من أنواع الاستبداد، وقد تفطنت أمم الغرب إلى تلك الخلافة و تلك التعاليم التي كانت سر نجاح هذه الخلافة وعملت بها في تحقيق رقيها.

كذلك يرى الكواكبي انه من أسباب انتشار الاستبداد هو أن " التفاوت في الثروة دعامة من أقوى دعائم الاستبداد لأنه يسمح لأصحاب النفوذ الديني أو الدنيوي وهم لا يزيدون عن الخمسة في المائة من جملة السكان – بان يستأثروا لأنفسهم بنحو نصف الثروة العامة".[1]

تمثل الثروة إحدى العوامل المساعدة على تفشي الاستبداد وانتشاره لان امتلاك بعض الفئات للثروة يمكنهم من بسط نفوذهم في الدولة بحيث يصبحون أكثر قوة رغم أنهم لا يمثلون إلا نسبة قليلة من السكان إلا أنهم يتمكنون من الاستيلاء على ممتلكات العامة من الناس ونهب ثرواتهم.

وبالإضافة إلى ما ذكرناه من الأسباب التي أدت إلى ضعف الأمة العربية أيضا الجهل الذي أصاب الأمراء والعامة من الناس ،بحيث جاء في الاجتماع الثاني من أم القرى على لسان الحكيم التونسي "...أتصور أن بلاءنا من تأصل الجهل في غالب أمرائنا المترفين الأخسرين أعمالاً الذين ضلوا وأضلونا سواء السبيل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً حتى بلغ جهل هؤلاء منزلة أحط من جهل العجماوات التي لها طبائع و نواميس".[2]

لابد أن جهل الأمراء هو الذي يدفع إلى التدهور ونشر الاستبداد لان جهل الأمراء يؤدي بهم إلى جرف العامة إلى طريقهم و يبعدونهم عن الطريق الصحيح ،ثم ليس هناك من هو أحرص على نشر الجهل من المستبد وقد " أظهر الكواكبي حقيقة تخوف

---

[1] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق ص147.

[2] السيد الفراني ، أم القرى، مصدر سابق،ص27

المستبد من العلوم الاجتماعية أكثر من خوفه من العلوم الأخرى حتى الشرعية منها والفلسفية باعتبار أن هذه العلوم لها نتائج عملية في إثارة الوعي العام وتحريض الناس على المشاركة في صناعة حياتهم مما يخيف المستبد ويقلقه".[1]

إن المفروض بالحكام أن يحافظوا على أمن وسلامة شعبهم ،وان يعملوا على دفع بلادهم نحو الازدهار والترقي ،وان ينيروا طريق رعيتهم بالعلم ، و أن يسعوا للقضاء على الجهل والتخلف ،لكن الحكام المستبدين هم عكس ذلك ،إذ نجدهم أحرص الناس على نشر الجهل ،لأنه لو تعلمت الرعية ستشكل عائقاً أمام استبدادهم وستحاربهم و تعصيهم لذلك يعملون على تخويف الرعية وإرهابهم لكي يبقوا فقط مطيعين لأوامرهم.

كما أن المستبد لا يخاف من علوم اللغة ولا من العلوم الدينية ولا من العلوم الصناعية ،كما انه لا يخاف من الرياضيين ولا من الماديين وما يخشاه المستبد هو "علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفية العقلية وحقوق الأمم وطبائع الاجتماع ،والسياسة المدنية ،والتاريخ المفصل ،والخطابة الأدبية ، ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول وتعرف الإنسان ماهي حقوقه وكم هم مغبون فيها".[2]

إن خوف المستبد من هذه العلوم التي سبق ذكرها كون هذه العلوم من شأنها تنوير عقول الرعية نحو ما يخدم مصالحهم وما يكون ضدهم ،كما أنها تعرفهم بحقوقهم ،و المستبد يخشاها لأنه يخشى من انقلاب الرعية عليه بعدما تتنور عقولهم.

"ينتج مما تقدم أن بين الاستبداد والعلم حرباً دائمة وطرداً مستمراً يسعى العلماء في تنوير العقول ويجتهد المستبد في إطفاء نورها".[3]

-إن الحرب القائمة بين العلم والاستبداد أشعل فتيلها الحكام المستبدون الذين يسعون إلى إطفاء شمعة العلم ونوره ،وفي مقابل ذلك نجد العلماء يسعون إلى نشر العلم وتنوير

---

[1] د ،بلال نعيم ،الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد ، مرجع سابق ،ص78.

[2] محمد خالد، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ،موفم للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2 ،الجزائر ،2002، ص43.

[3] المرجع نفسه،، ص44.

العقول ومتى "انتشر نور العلم في امة قط إلا وتكسرت فيها قيود الأسر وساء مصير المستبدين من رؤساء سياسة أو رؤساء دين".[1]

ومن أسباب الضعف الذي لحق بالأمة العربية أيضا فقدان الحرية " لا شك أن الحرية اعز شيء على الإنسان بعد حياته وأن بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الأعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين".[2]

-ليس من الممكن النقاش أو الجدل حول مفهوم الحرية فهذا شيء متعارف عليه بأنها هي من تبرز مكانة الفرد وتعطيه القيمة بين أفراد مجتمعه فهي تعد في المرتبة الثانية من أهم ممتلكات الإنسان بعد حياته بطبيعة الحال وفي حالة ما انعدمت يفقد معها الفرد مكانته وأمنه واستقراره و يختل النظام وهذا ينجر عنه فساد الأعمال والأنشطة و" المستبد عدو الحق ،عدو الحرية وقاتلها ،و الحق أبو البشر والحرية أمهم ،و العوام صبية أيتام نيام لا يعلمون شيئا والعلماء هم إخوتهم الراشدون ،إن أيقظوهم هبوا وإن دعوهم لبوا وإلا فيتصل نومهم بالموت".[3]

فالمستبد إنسان ظالم يشوه صورة الحق ويكبت حرية الأفراد ويقيّدها ،ويجعل من العوام مجرد آلات تنفذ الأوامر وبالتالي وصف الكواكبي العوام بأنهم صبية أيتام لأن الحق أبوهم ،والحرية أمهم ،و المستبد يقضي على الحق و الحرية معاً و بالتالي يبقى العوام تائهين، ولا يبقى لهم لا العلماء الذين يعتبرون بمنزلة إخوتهم ،فللعلماء دور بارز في تنوير أفكار العامة، فإذا أرشدوهم استفاقوا وإذا لم يرشدوهم ضلوا نائمين غافلين عما يدور حولهم .

---

[1] عبد الرحمن الكواكبي ،طائع الاستبداد ، مصدر سابق ، ص37-38.

[2] السيد الفراتي ،ام القرى، مصدر سابق ص29.

[3] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، مصدر سابق ، ص18.

" المستبد يتجاوز الحد ما لم يرى حاجزا من حديد ،فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفاً لما يقدم على الظلم كما يقال: الاستعداد للحرب يمنع الحرب."[1]

إن المستبد لا يحده سوى تفطن المظلوم ووعيه ،لأن المستبد يسير في طريق الإستبداد مادام المظلوم غافلا ولا يتصدى لذلك، لكنه إذا رأى تأهب الرعية لمقاومته يخشاهم ولا يجرؤ على مواصلة ظلمه لهم.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي من الصفات الأساسية التي لابد أن يتصف بها الحكام والعامة من الناس على حد سواء ،لان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدفع الناس إلى القيام بالأعمال التي جاء بها الشرع وحث المسلمين على التقيد بها في معاملاتهم وحياتهم اليومية ،إلا انه في زمننا هذا انعدمت هذه الفضائل وهذا كان سببا من أسباب انحطاط الأمة العربية بحيث جاء الاجتماع الثاني من أم القرى على لسان المجتهد التبريزي " انحطاطنا من أنفسنا إذ كنا خير أمة أخرجت للناس نعبد الله وحده أي نخضع ونتذلل له فقط ونطيع من أطاعه ما دام مطيعاً له نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر أمرنا شورى بيننا نتعاون على البر والتقوى و لا نتعاون على الإثم والعدوان فتركنا ذلك كله ما صعب منه و هان".[2]

لقد كانت الأمة الإسلامية أمة صالحة، لا تخشى إلا من خالفها، وتتوجه له العبادة والطاعة ولا تعبد سواه ، وتطيع من سار على أوامر الله عز وجل. و تطبق التعاليم التي أمر بها، ومن بين ما أمر به الله تعالى عباده هو الأمر بالمعروف الذي يعني إرشاد الناس إلى كل أمر من شأنه أن يخدم مصلحة العامة و لا يشكل أي أذى و بأي شكل من الأشكال لأي إنسان مهما كانت مكانته أو كان سنه ، والنهي عن المنكر بمحاربة أي عمل سيئ من شأنه إلحاق الضرر أو الأذى بالناس ، ومن بين ما أمر الله

---

[1] عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، مصدر سابق، ص 18

[2] السيد الفراتي، أم القرى ، مصدر سابق، ص31.

عز وجل عباده أيضا الشورى التي وردت في القرآن الكريم بكثرة وهذا ما يدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يشرع أمرا ويدعوا إليه إلا إذا كان فيه صلاح لأحوال الأمم وهذا يتعلق بالشورى لأن التشاور في أي أمر يستوجب اخذ رأي الجميع بعين الاعتبار ، ثم التوصل إلى الرأي الصحيح ، وطريقة الشورى اتبعها الخلفاء الراشدين في حكمهم فأسسوا حكومة ليس لها مثيل في زمننا الحديث ، وكانت تلك الأمة أمة يتعاون أبناؤها مع بعضهم البعض بحيث كانوا يساعدون الفقير و يسعفون المريض ، وتجدهم متحدين فيما بينهم في الأفراح والأحزان

ثم تراجعت الأمة العربية عن ذلك كله ،وبدأت تتخلى عما أمر به الله عز وجل ، وأصبح الناس إذا رءوا فساداً لا أحد يصلحه ومن وجد صلحا يفسده ، وهذا كله أدى إلى هوان الأمة وانتشار الفساد والظلم والاستبداد فأصاب هذه الأمة الفتور والتدهور.

إن ما تطرقنا إليه سابقا هي بعض الأسباب التي دفعت بالأمة العربية إلى التراجع والانحطاط وانتشار الاستبداد بمختلف أشكاله.

وهكذا فان النهضة في نظر الكواكبي يجب أن تمر على المجال السياسي ،فوحده إصلاح السياسة يمكّن العرب والمسلمون من أن يحتلوا درجات عليا في سلم الحضارة ،فكل حضارة رائدة إنبنت على تصورات سياسية صحيحة ومنتظمة تسعى إلى تنظيم شؤون الحياة وفق العدل الذي هو أساس الملك ،إذن فالعدل هو أساس التحضر ،وهو قيمة حضارية قبل أن يكون قيمة سياسة ، فعندما يتحقق العدل في علاقات الإنسان ثمة يمكن الحديث عن نهضة الإنسان العربي.

المبحث الثاني: أسس الاصلاح عند الكواكبي

المطلب الأول: الدولة:

بعد الإصلاحات التي قام بها الكواكبي في المجال السياسي والديني لابد أن لا ننسى الهدف من وراء تلك الإصلاحات، إن هدف الكواكبي من تلك الإصلاحات هو قيام الدولة العادلة والسبيل لقيام هذه الدولة ، وهذا ما سنتطرق إليه في عرضنا هذا.

إن ما دفع الكواكبي للحديث عن الدولة هو دون شك ما كانت تمارسه الدولة العثمانية من تسلط واستبداد ، بحث لم يكن يرى فيها الدولة المثالية العادلة التي يفترض بها أن تكون دولة الإسلام.

فالدولة العثمانية منذ قيامها إلى غاية سقوطها جمعت تحت لوائها مجموعة من الأمم التي كانت تختلف في لغاتها ومصالحها وأديانها ،و كانت تسيّر من قبل حاكم واحد "السلطان" والذي ضم إلى اسمه لقب الخلافة أو أمير المؤمنين، وبعد ضعف الدولة العثمانية أصبح الخطر يتربص بها من كل جانب وأصبح لفظ الرجل المريض متداولا بين الشعوب التي كانت تنتظر فرصة تقسيم تركة الرجل المريض ،فأصبح اسم هذه الدولة يتبادر إلى الأذهان حول مصير هذه الدولة المهددة بالزوال " وعلام تعتمد الدولة في تكوينها؟ أعلى الشتات من الأجناس المتفرقة التي تجمعها جامعة واحدة ؟ أعلى الطورانية إذا كانت لابد لها من جامعة سياسية أو روحية تسندها بين أجزائها ؟ أعلى الجامعة الإسلامية ؟ أعلى الوحدة الإئتلافية ؟ أعلى التسليم بالواقع وانتظار المجهول في مهاب الأقدار".[1]

-أصبحت كل هذه الأسئلة تتبادر إلى الأذهان بحيث كان لا بد من وجود مبدأ تقوم عليه الدعوة من أجل المستقبل.

[1] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص132.

-وقد تطرق الكواكبي إلى مسألة الدولة والخلافة وأقام برنامجه الإصلاحي حول ثلاث قواعد أساسية:

"1 -أن ينفصل الملك عن الخلافة.

2-وأن تعود الخلافة إلى الأمة العربية.

3-وأن تقوم الخلافة على أساس الانتخاب والشورى والتعاون المتبادل على سنة المساواة بين الأقطار الإسلامية.

-ويستند في كل قاعدة من هذه القواعد إلى مراجعة تاريخية كما يستند إلى مقتضيات الضرورة العملية في أحوال العالم الحديث"[1].

فيما يخص القاعدة الأولى المتعلقة بانفصال الملك عن الخلافة فهو يرى أن خلافة العثمانيين فهي لم تقم عن طرق البيعة كما أن الملوك في بعض البلاد العربية لا يقبلونها ، بالإضافة إلى أن هذه الخلافة (خلافة العثمانيين) لا يذكرها المسلمون في خطب صلواتهم كصلاة الجمعة مثلا، ويرى الكواكبي أن لقب الخلافة الذي استعمله السلاطين العثمانيين لم يكن سوى مجرد سلاح في أيديهم يستعملونه فقط من أجل "...التلاعب السياسي وقيادة الناس إلى سياستهم بسهولة، وإرهاب أوروبة باسم الخلافة واسم الرأي العام ..."[2]

ويقصد من هذا أنهم استعملوا لقب الخلافة من اجل السيطرة وإخضاع الناس لسياستهم وممارسة القوة والتسلط وزرع الخوف بين الدول الأوربية من خلال هذا الاسم ، لأنه يرتبط بالمملكة الإسلامية لما كانت تحمل لواء الريادة والتي لم يكن لها منافس في العصور السابقة.

---

[1] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق،ص132.

[2] المرجع نفسه، ص 133.

-كما أن السلاطين العثمانيين قدوا مصالح الملك عن أمور الخلافة وواجباتها ومن الأعمال التي قاموا بها للحفاظ على الملك على حساب الدين ما قام به السلطان محمد الفاتح مثلا الذي " قدم الملك على الدين فاتفق سراً مع فريد يناند ملك الأرغوان الإسبانيولي ثم مع زوجته إيزابيلا على تمكينها من إزالة ملك بني الأحمر آخر الدول العربية في الأندلس...."[1]

وهذا يدل على مدى تمسك السلاطين بالملك وتقديم الملك على حساب أي مصلحة أخرى ومن أمثلة ذلك أيضا: ما قام به السلطان سليم الذي " غدر بآل العباس واستقصاهم ،حتى انه قتل الأمهات لأجل الأجنة ،وبينما كان هو يقتل العرب في الشرق كان الإسبانيون يحرقون بقيتهم في الأندلس ،وهذا السلطان سليمان ضايق إيران حتى ألجأهم إلى إعلان الرفض...ثم لم يقبل العثمانيون تكليف نادر شاه برفع التفرقة بمجرد تصديق مذهب الإمام جعفر،كما لم يقبلوا من «أشرف» خان الأفغان إقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني..."[2]

إن الغرض من سرد هذه الوقائع هو تبيين مدى بشاعة هؤلاء السلاطين والحكام اللذين فشلوا في القيام بوجبات الخلافة مع أنهم قد ربطوا هذا الاسم بهم وتداولوه بينهم وكل ما كان يهمهم هو فقط المحافظة على الملك.

يرى الكواكبي انه إذا كانت هناك خلافة فالعرب أحق وأولى بها وفي رأيه لكي تقوم دولة عادلة ومثالية لابد:

"1-أن يكون الخليفة عربيا.

2-وأن يكون اختياره بالانتخاب.

3-وأن تكون وظيفته روحية.

---

[1] عباس محمود العقاد، مرجع سابق ، ص133.

[2] المرجع نفسه ، ص133

4-وأن يعاونه مجلس شورى تتمثل فيه جميع الشعوب الإسلامية.

5-وأن تنفذ وصاياه طواعية في المسائل الدينية، ولا تتعرض في تنفيذها للمشكلات."[1]

يرى الكواكبي أنه لكي تقوم الخلافة لابد أولا أن نمهد لها و نعد الأذهان جيدا في العالم الإسلامي لكي تفهم هذا النظام جيدا وتتقبله ولكي يكون هذا النظام كثورة على النظم التقليدية التي انتشرت بسبب طمع السلاطين و الخطط التي كان يقيمها اللذين لا يريدون خيرا لهذه الأمة ،وذلك لتعود الخلافة كما كانت من قبل في عصر الخلفاء الراشدين على أن تنظـــم أمور الخلافة جماعة ولابد أن تعتمد في ذلك على الشورى ، وقال لابد أن نكون شديدي الحذر في تحقيق هذه الخلافة من الدول الكبرى التي لا ترغب في قيام هذه الخلافة، أيضا تطرق الكواكبي لموضوع الجهاد وقال انه لا ينبغي أن نحصر معنى الجهاد في التصدي لغير المسلمين فقط ومحاربتهم حيث يقول"....كل عمل شاق نافع للدين والدنيا ،حتى الكسب لأجل العيال ،سمي جهاداً وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إدارة الفتوحات "[2]

ومعنى ذلك أن كل عمل يقوم به المسلم ويكون عمل صالح ويكون لإعلاء شأن الدين وأي عمل نافع ينفع البشرية يمكن اعتباره جهاد.

-ثم تكلم عن الخلافة العربية التي تعدل بين البشر وتهمها مصالح الناس فيقول لو علم هؤلاء السياسيين هذه الحقيقة لما عارضوا إقناع هذه الخلافة بل قاموا بتأييدها ثم شدد كثيرا على العرب اللذين يسمحون بدخول بلادهم تحت حكم بلدان أخرى استسلاماً منهم للقضاء و القدر فهم في الحقيقة فهموا معنى التسليم للقضاء والقدر فهماً خاطئاً ودعا هذه الشعوب الى استخدام كل الوسائل للتصدي لهذا التسلط ومحاولة إفشاله على أن يتم التسليم له.

---

[1] عباس محمود العقاد ،عبد الرحمن الكواكبي ، مرجع سابق، ص134.

[2] المرجع نفسه، ص135.

المطلب الثاني: الوحدة العربية:

إن الهدف الرئيسي لكل أمة وفي أية مرحلة هو تحقيق الوحدة ،وهذا الهدف إما أن يكون ناتجاً رغبة الناس أو مجموعة من المصلحين والمفكرين وفي بعض الأحيان تكون الظروف السائدة هي التي تدفع نحو تحقيق ذلك ،فالوحدة العربية أو اليقظة العربية التي تزامنت بدايتها مع النهضة الفكرية هي الهدف الوحيد الذي يصبوا إلى تحقيقه كل عربي مسلم يدين بدين الإسلام و يسير على تعالميه سواء كان مصلح أو مفكر أو حاكم أو من عامة الناس هو رؤية الأمة العربية امة واحدة متحدة فيما بينها لا تفرقها لا حدود وتسميات ولا تقف في وجه تلك الوحدة لا تلك العادات والتقاليد المختلفة بين تلك المناطق ولا اختلاف الحكام.

إن موضوع الوحدة العربية * هو من بين المواضيع البالغة الأهمية التي تدب في نفس كل مسلم عربي تسري في دمه العروبة الحماس والرغبة في تحقيق هذا الهدف ، ولعل من أبرز أولئك الأشخاص الذين تفطنوا لتلك الأوضاع المزرية والمتدهورة التي شهدها الوطن العربي في السنوات الأخيرة من فترة حكم الدولة العثمانية التي مارست كل أنواع التسلط والاستبداد ومحاولة توعية جمهور المسلمين العرب نحو التغيير لإقامة دولة أو وحدة عربية هو الفكر والمصلح الكبير عبد الرحمن الكواكبي " الذي يعتبر أحد أهم مؤسسي الاتجاه القومي العربي بل و "العروبة "[1] فالكواكبي إذن هو من "رواد الحركة القومية . وقد ذهب البعض بعيداً ،في هذا الأمر ،فالكاتب الأردني "سليمان موسى "يعتقد أن كتابات الكواكبي تمثل البداية الحقيقية لأفكار القومية العربية. أما "موسوعة السياسة" فتعتبره رائد الفكر القومي العربي في عصرنا الحديث"[2]

---

[1] د أحمد البرقاوي ،محاولة في قراءة عصر النهضة (الإصلاح الديني ،النزعة القومية) الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،سورية ،دمشق ،ط2 ،1999 ،ص119.

[2] حسن السعيد، رواد الإصلاح ،عبد الرحمن الكواكبي ، جدلية الاستبداد والدين مكتبة مؤمن قريش للنشر/ط1، 1421ه /2000م ،ص114.

إن إصلاحات الكواكبي في مختلف المجالات السياسية والدينية والفكرية ودعوته إلى الوحدة العربية جعلته بحق رائد من رواد الحركة القومية بحيث يقر له كل مفكر بتلك الجهود الجبارة التي بذلها في ميدان الإصلاح والدعوة إلى التغيير." وعلى هذا المنوال يذهب باحث لبناني إذ يقول :انه أول من صاغ فكرة القومية العربية صياغة بلغت من النضج والوضوح جداً جعل أكثر الباحثين يجدون في أفكاره العربية انضج بناء فكري شهده ، حتى ذلك الحين تطور الفكر القومي عند العرب ، يقول مارون عبود في كتابه "رواد النهضة الحديثة "أن الكواكبي ربما كان موقد نار النهضة القومية".[1]

-لاشك أن إسهامات عبد الرحمن الكواكبي في مجال الإصلاح وتوعية المسلمين العرب للتخلص من قيود الجهل والظلم والاستبداد الحميدي ،ومطالبته بالثورة ضد السلطة العثمانية وإحداث التغيير كان لها الأثر البارز في نفوس المسلمين ،إلا أنه لم يقف عند هذا الحد بل راح يطالب بتحقيق وحدة قومية عربية ،لأنه فقط باتحاد العرب فيما بينهم يمكّنهم من تحقيق نهضة والتصدي لأي خطر يهدد كيان الأمة الإسلامية.

ومما هو معروف أن الكواكبي كان معارضاً لسياسة الأتراك لأن " ممارسات الأتراك العثمانيين في بلاد العرب جاوزت كل حد معقول ومسموح من أوجه الظلم والاضطهاد والاعتداء على روح وجوهر ديننا الحنيف الذي جعل العدل والمساواة جوهر الإيمان وسياجه المتين"[2]

-ويرى الكواكبي انه لا صلاح في أمة يحكمها حاكم أعجمي وكان يرى أن العرب أحق بتولي زمام الحكم لان الأتراك كانوا يستبدون العرب ويحتقرونهم ويطلقون عليهم تسميات وألقاب تحط من شأنهم وقيمتهم ،فكان الكواكبي يصبوا لإقامة " أمة عربية واحدة لها مقوماتها الأساسية التي لا تختلف عن مقومات أية أمة ،وحدة اللغة والتاريخ

[1] حسن السعيد، رواد الإصلاح ، مرجع سابق، ص114.

[2] صلاح زكي احمد، اعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص49.

والأرض والثقافة والمصالح .أمة تنزع إلى إقامة وحدة سياسية ،ودولة تضم جميع أبناء الأمة الواحدة بمعزل عن أية رابطة أخرى لاسيما رابطة الدين".[1]

إن ما كان يرمي إليه الكواكبي حين طالب بإعادة الخلافة للعرب كان لإقامة أمة عربية يدين شعبها بدين واحد وتجمعهم عادات وتقاليد واحدة، و يكون لهم نفس التاريخ والمصالح ،والهدف من ذلك كله هو إقامة وحدة سياسية ، ولأن العرب في رأيه لهم مكانة خاصة فهم مركز الإسلام.

رأى الكواكبي أيضاً أن عرب الجزيرة هم أحق وأولى بأمور الخلافة وذلك لأن الجزيرة العربية تمثل مركز الإسلام وفيها الكعبة الشريفة والمسجد النبوي الشريف ،ويتصف عربها بأخلاق سامية.

-من الضروري الإشارة إلى أن الترويج لليقظة العربية كان مع بداية النهضة الفكرية بهدف إرجاع العالم العربي إلى زمن الاتحاد والقوة الذي كان يميز الوطن العربي الإسلامي سابقا فتأسست عدة جمعيات مع العديد من المفكرين وفي مناطق مختلفة من الوطن العربي طالبت باليقظة والتمرد على السلطة العثمانية والحكم الحميدي المستبد كذلك " وفي الفترة نفسها ظهرت دعوة جديدة تقول بإقامة خلافة عربية مقام الخلافة العثمانية ،على يد عبد الرحمن الكواكبي (1854-1902) في كتابه "أم القرى" الذي صدر في مصر سنة 1312ه فقد تناول مسألة الخلافة، وألقى بذور الشك في صحة اعتبار السلاطين العثمانيين خلفاء للمسلمين- وأوضح أن الكتب الفقهية الأساسية تذكر من شروط الخلافة "النسب القريشي".[2]

إن دعوة الكواكبي لإقامة خلافة عربية مقام الخلافة العثمانية هو تلك الممارسات التي مارسها الأتراك أو بأدق العبارة السلاطين العثمانيين الذين لم يحافظوا على الدين

---

[1] د. احمد البرقاوي ،محاولة في قراءة عصر النهضة، ص121

[2] علي المحافظة ،الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914 ،الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية ،الأهلية للنشر والتوزيع بيروت 1987 ،ص132-133.

الإسلامي ، بل كانوا معادين للدين وقدموا الملك على حساب الدين لذلك رأى أن العرب أولى وأحق بالحكم ،مفنداً بذلك تلك الادعاءات التي كانت تقول بأن الخلفاء العباسيين تنازلوا للعثمانيين عن الخلافة الإسلامية معتمدا في ذلك على انعدام الدليل أو المرجع التاريخي الذي يثبت صحة تلك الرواية ،وقال إن حدث هذا التنازل لابد أنه حدث بالإكراه ، ومن خلال ذلك " دعا إلى ثورة العرب على الأتراك بقوله :" يا قوم جعلكم الله من المهتديين...وكان أجدادكم لا ينحنون إلا ركوعاً لله، وانتم تسجدون لتقبيل أرجل المنعمين ولو بقمة مغموسة بدم الإخوان ،وأجدادكم ينامون الآن في قبورهم مستورين أعزاء ،وانتم أحياء معوجة رقابكم أذلاء..."[1]

لقد دعا الكواكبي العرب إلى التمرد والثورة ضد الأتراك مخاطباً إياهم بأنهم قوم أمنّ الله عليهم بالقرآن الكريم الذي فيه صلاح أحوال الأمم والنفوس ،وجعلهم ممن هداهم الله إلى طريق مستقيم ،فنجده يقارن بين السلف الذين بقيوا شامخين في وجه الجهل والظلم والاستبداد رافعين رؤوسهم لا ينحنون ولا يوطئون رؤوسهم إلاّ ركوعاً لله عز وجل ،فلم يرهبهم لا حاكم مستبد ولا كافر طاغي ،وبين الخلف مخاطباً إياهم بأنهم قد انحرفوا عن ذلك المسار الذي سار عليه أجدادهم مما جعلهم أذلاء ينحنون لتقبيل أرجل من لا فيهم صلاح ولا دين ولا لدنيا.

-إن ما ذكرناه سابقا وما دعا إليه الكواكبي وبعض المفكرين من أمثاله كان يهدف إلى " بعث التراث العربي وإيقاض العرب من سباتهم وجعل لغتهم اللغة الرسمية في بلادهم".[2]

لعل نوم العرب سنين طويلة جعلهم يغيبون عن مسرح الأحداث ،وفقدوا بذلك مفاتيح الريادة ،إن سبات العرب جعل أقواما أخرى تستفيق وتحتل الصدارة ،فأصبح العرب غرباء في أوطانهم ،عبيد في ديارهم ، فُرضت عليهم عادات وتقاليد وثقافات غربية

[1] علي المحافظة -الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، ،مرجع سابق،ص 133.
[2] المرجع نفسه، ص134.

عن روح دينهم ، ولغة أجنبية احتلت محل لغتهم ،وبالتالي كان لابد أن يكون هناك منقض يوقظهم من غفلتهم وسباتهم الطويل لإعادة بعث التراث العربي من جديد ونشر الثقافة العربية وجعل لغة القرآن الكريم اللغة الرسمية في البلاد العربية ،وتحرير تلك المناطق أو الولايات العربية من الحكم العثماني، بحيث لا يمكن لأية أمة تحقيق نهضة إن لم تحقق وحدة قومية " إن الوحدة ضرورة حيوية ووجودية للأمة العربية وليس مصدر هذه الضرورة ما يقوم بين العرب على اختلاف أقطارهم وطبقاتهم من عوامل الاشتراك في اللغة والقيم الثقافية والموروث التاريخي والحضاري فحسب ،بل تفرضها عليهم المصلحة المشتركة :تحديات الحاضر والمستقبل في ميادين التنمية الاقتصادية والعلمية والثقافية والأمن القومي وضرورات البقاء،"[1]

دون شك تعتبر الوحدة العربية ضرورية جدا ولا بد من تحقيقها ، كما أن ضرورتها هذه لا تنحصر فقط في كون العرب تجمعهم بعض النقاط المشتركة مثل اللغة العربية ، الثقافة ، التاريخ ،بل هناك أمور أخرى أيضا التي تجعل من الوحدة ضرورة لا يصح التفريط فيها لان العرب تجمعهم مصالح مشتركة لذلك لا بد أن يتحدوا فيما بينهم من أجل تحقيق البقاء ومواجهة العوائق التي تهدد أمن الدولة العربية في الحاضر ورسم آفاق المستقبل كما " أن القومية التي ننادي بها هي حب كل شيء. هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته، لان الوطن بيت كبير والأمة أسرة واسعة. و القومية ككل حب ،تفعم القلب فرحاً وتشيع الأمل في جوانب النفس ،ويود من يشعر بها لو أن الناس يشاركونه في الغبطة التي تسمو فوق أنانيته الضيقة وتقربه من أفق الخير والكمال، وهي لذلك غريبة عن إدارة الشر وأبعد ما تكون عن البغضاء".[2]

---

[1] مركز دراسات الوحدة العربية ، المشروع النهضوي العربي ،ط1 ، بيروت شباط /فبراير 2016،حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمركز ص 59.

[2] ميشل عفلق، في سبيل البعث ،الكتابات السياسية الكاملة.ص59

حاول الكواكبي وأتباعه تأسيس فكرة القومية على مشاعر الحب، إذ أن حب الوطن الأكبر يتجاوز منطق العقل، صحيح أن الواقع يثبت أن العرب يعيشون تخلفاً و تمزقاً خاضع للقوى الاستعمارية، ولكن طاقة الحكم العقلانية هي التي تجعل كل شيء ممكن، ولهذا فقد وصفت الدعوة القومية العربية من بعض النقاد أنها دعوة خيالية لاعقلانية لأنها تؤسس دعواها على الحب وليس على المنطق و العقل.

إلا أن قوميتنا اليوم أصبحت تصلنا من الدول الغربية إلا "أن هذه القومية التي تأتينا من أوروبا مع الكتب و المجلات تهددنا بخطر مزدوج ،فهي من جهة تنسينا شخصيتنا و تشوهها ، ومن جهة أخرى تسلبنا واقعنا الحي و تعطينا بدلاً منه ألفاظا فارغة ورموزا مجردة . فبحث القومية على الأسلوب الأوربي يعللنا بآمال كاذبة ،فيوهمنا أننا نبلغ ما بلغته الأمم الأوربية العظمى بأخذنا بعض مظاهرها _ أي بضرب من السحر _ كما أنه يورثنا أمراضاً ومشاكل وهمية فنشعر بنفس الأمراض والمشاكل التي تعانيها تلك الأمم"[1]

تعقيب:

يمكن القول أن دعوة الكواكبي إلى حصر الخلافة في يمكن رده في الحقيقة إلى أصوله القريشية من الجزيرة العربية.

المطلب الثالث: أثر الكواكبي في الفكر العربي:

لقد ساهم مفكرنا العظيم عبد الرحمن الكواكبي بأفكاره الإصلاحية إلى زرع فكرة النهوض في عقول أغلبية الناس، وعلى الرغم من أن السلطة العثمانية قامت بحرق ومصادرة مؤلفاته التي لم يسلم منها سوى كتابين هما كتاب "أم القرى وطبائع الاستبداد"، إلا أن هذين الكتابين كان لهما أثر كبير في نفوس العديد من المفكرين، وذلك نظرا لأهمية تلك الأفكار التي تحتويها كتبه، ولعل من أبرز أولئك المفكرين الذين

[1] ميشل عفلق، في سبيل البعث، مرجع سابق، ص137-138.

تأثروا بفكر عبد الرحمن الكواكبي هما ميشل عفلق وساطع الحصري، وعبد الحميد الجزائري.

1/ ميشل عفلق:*

يظهر تأثير الكواكبي في فكر ميشل عفلق في فكرة القومية، بحيث نجد ميشل عفلق ينطلق من نفس ما انطلق منه الكواكبي فيما يتعلق بفكرة القومية، إذ نجد ميشل عفلق يدعوا إلى الوحدة العربية على أساس عروبي قومي.

طالب ميشل عفلق المجتمع العربي أن يستفيق من سباته الذي طال أمده والسعي إلى إدراك المستقبل الذي لا يعتبره بعيدا بل يرى أنه يمكن أن يتحقق في لحظة واحدة ، ذلك يتم إذا ما قام كل فرد بتأدية مهامه على أكمل وجه، ومتى فهم كل مرء سبب وجوده فهماً صحيحاً إذ نجده يصرح قائلا "إن بيدنا أسلحة كثيرة وقوى كبيرة هي قوة المبادئ التي تعمل لها ونحيا من أجلها ، وقوة التنظيم ، ولكن ثمة قوة تفوق كل القوى الأخرى هي أن نجسم للأمة مستقبلها وأن نحقق هذا المستقبل منذ الآن ونحياه بيننا.[1]

إن ميشل عفلق يرى بأن إدراك المستقبل ليس بالأمر المستحيل أو صعب التحقيق لأن العرب يملكون أيديهم قوى تمكنهم من تحقيق ذلك وتتمثل تلك القوى في المبادئ ولعل تلك المبادئ والقيم هي تلك التي حثّنا عليها ديننا الحنيف، كذلك هناك قوة التنظيم لأنه يبين لكل شخص مهامه وأدواره في الأمة، والتي رسمت الأمة سبل خروجها من الظلام وسارت على تنفيذ ذلك فهي بذلك ستحقق ذلك المستقبل وتعيشه لا محال.

---

* *- ميشل عفلق: ولد في كانون الثاني 1970 في مشق، كانت له مشاركات في ثورات فلسكين، كانت القراءات والمطالعات الأولى للرفيق ميشل عفلق تتفاعل مع معاناة هذه البيئة الوطنية العربية التي نشأ فيها، ترتكز تلك القراءات حول الآداب والتاريخ العربيين وحول الشعر الوطني وآداب المهجر والاطلاع على حياة الرسول العربي، درس في كلية السوربون بباريس وحصل على شهادة أولية في حقل التاريخ، انضم إلى الجمعية العربية السورية وجمعية الثقافة العربية. أنظر ميشل عفلق، في سبيل البعث، ص 7، 8.

[1] ميشل عفلق، في سبيل البحث، الكتابات السياسية الكاملة، ج1، ص 26.

ويرى كذلك ميشل عفلق بأن السبيل الذي يؤدي بالعرب إلى التخلص من الفساد والجهل وغيرها من الأمور التي تعرقل نمو الأمة العربية وتطورها هو "إقامة الحركة التي تستطيع السيطرة على الظروف هو أن تكون من الناحية الفكرية في مستوى القضية التي تحاول حلها، وهذا يعني أن التفكير الذي تبنى عليه هذه الحركة يجب أن يكون تفكيرا عربيا وهنا ينتفي كل جهد وكل محاولة محلية أو شخصية لا ترتفع إلى هذا المستوى وإلى هذا الشمول".[1]

فميشل عفلق هنا يحاول الإشارة إلى أن الأمة لتتقدم لابد لها من تكوين حركة تقوم بالقضاء على الجهل و الفساد إلا أن هذه الحركة لا بد شروط لها تقوم عليها ولعل من أبرز تلك الشروط أن تفهم هذه الحركة مستوى تلك القضية التي تتعامل معها، وكذلك والتي تسعى لمعالجتها، لذلك لابد أن تتصف بالتنظيم.

إن ميشل عفلق تأثر بفكرة القومية التي نادي بها عبد الرحمن الكواكبي لذلك نجده يقول بأن العرب يشتركون في المصلحة والأهداف لذلك لابد أن يتحدوا لتحقيق تلك المصلحة المشتركة بحيث يقول " إننا نمثل الحرية والاشتراكية والوحدة هذه هي مصلحة الأمة العربية وأقصد بالأمة العدد الأكبر ولا أقصد بها تلك الأقلية المشوهة الشاذة المنكرة لذاتها، المتعددة لأنانيتها ومصالحها الخاصة إنها لم تعد من الأمة فما دامت هذه الأهداف هي التعبير عن مصلحة العدد الأكبر فلنثق ولنؤمن بأن العدد الأكبر سيأتي إلينا".[2]

يرى ميشل عفلق بأن العرب هم يمثلون الحرية التي لا يمكن لأي أمة أن ترتقي بدونها فالحرية هي الحياة ، وإذا ما انعدمت الحرية ، انعدمت معها الحياة ، بحيث يصبح الناس أحياء وكأنهم أموات وبالإضافة إلى الحرية هناك عامل أخر يتمثل في

---

[1] ميشل عفلق، في سبيل البعث، مرجع سابق، ص 42.

[2] المرجع نفسه، ص 51.

الاشتراكية التي تدفع بالفرد إلى العمل وبذل الجهد في سبيل التقدم والتطور وكذلك الوحدة التي تمثل العنصر الأساسي للتقدم، إن هذه العناصر الثلاثة على حد تعبير ميشل عفلق تمثل مصلحة الأمة العربية ويقصد بالأمة ذلك العدد الكبير من الأفراد الذين يسعون جاهدا لعدم الاستسلام لتلك الأوضاع المزرية التي تؤدي إلى الضعف والفتور ولا يقصد بها تلك الفئة القليلة التي ترى الفساد ولا تكلف نفسها محاولة القضاء عليه ويقول أيضا:

"وإننا نعتمد أيضا على قوة أخرى لا يستهان بها مادمنا نعتقد بأن القومية الصحيحة هي الإنسانية الصحيحة، وأن بعث الإنسانية بكاملها، هذه القوة هي قوة التاريخ الإنساني فنحن نسير في اتجاه التّقدم والتحرر والعدل ولسنا ندير ظهورنا ونعمي أبصارنا عن الحقيقة الإنسانية، فإذن نحن محاطون بقوى ثلاث أساسية تكفي لكي تملأ قلوبنا بالثقة والعزم: "قوة مصلحة الشعب العربي في حاضره والتاريخ العربي في ماضيه والتاريخ الإنساني في تقدمه نحوى الحرية والاشتراكية والوحدة".[1]

إن ما يرمي إليه ميشال عفلق هنا هو أن التاريخ الإنساني يمثل إحدى نقاط القوة لتحقيق القومية الصحيحة مادام العرب يسعون لتحقيق التقدم، بحيث لا يمكن أن نتجاهل ذلك التاريخ، وندير ظهورنا له لأن هذا التجاهل يعد خطأ ثم إن قوة مصلحة الشعب العربي وتاريخه والتاريخ الإنساني في تقدمه كلها تعد نقاط قوة يمكنها أن تزرع في نفوس العرب الثقة والعزم على الجهاد في سبيل تحقيق تلك المصلحة المشتركة للعرب والمتمثلة في النهضة" إن طموحنا الكبير، طموحنا هو طموح الإنسان وطموح كل شعب أصيل شاعر بشخصيته، مقدر لمعنى وجوده الإنساني، طموحنا لا يقتصر على دفع الأخطار، والتخلص من الأعداء ومن ظلمهم الذي لحق بنا زمننا طويلا ، طموحنا لا يقف عند حدود السلبية والرفض والتخلص، وإنما في أعماقه

[1] ميشل عفلق، في سبيل البعث، مرجع سابق، ص 51.

طموح ايجابي بناءا في أن نعمل وأن نسترجع من جديد تجاوبنا الصادق مع الحياة ، وأن نساهم في بناء الحضارة ونسام في إخصاب القيم الإنسانية وفي الدفاع عنها وفي تجسيدها تجسيدا صادقا في حياتنا وسلوكنا".[1]يمكن القول أن عفلق ليس إلا نتاج لفكر الكواكبي وقد استلهم منه أغلب أفكاره.

يتمثل الطموح الحقيقي لكل إنسان يقدر معنى وجوده في المساهمة في استرجاع أمجاد الحضارة العربية، وإعادة بعثها من جديد كذلك نشر القيم الإنسانية والتعامل بها وتجسيدها في الحياة ولا يتمثل ذلك الطموح في الرفض والوقوف عند تلك الحدود السلبية.

لقد دعا عبد الرحمن الكواكبي إلى ضرورة الوحدة العربية وأولاها أهمية كبيرة كون العرب يشتركون في اللغة والتاريخ والثقافة وهي النقطة التي بنى عليها ميشل عفلق فكرته الرافضة والمعارضة لتلك القومية القادمة من الغرب ،وأشار ميشل عفلق إلى أن شباب اليوم أصبح ينضر إلى القومية التي هي أساس حياتنا مجرد نظرية من النظريات ، وهذا الأمر يزرع الخوف والارتكاب، كما أن قوميتنا اليوم أصبحت تأتينا من دول الغرب وبالتالي نجده يصرح قائلا:" إن هذه القومية التي تأتينا من أوربا مع الكتب والمجلات تهددنا بخطر مزدوج، فهي من جهة تنسينا شخصيتنا وتشوهها ومن جهة أخرى تسلبنا واقعنا الحي. وتعطينا بدلا منه ألفاظا فارغة ورموزا مجردة فبحث القومية على أسلوب الأوربي يعللنا بآمال كاذبة، فيوهمنا أننا نبلغ ما بلغته الأمم الأوربية العظمى بأخذنا بعض مظاهرها- أي بضرب من السحر- كما أنه يورثنا أمراض ومشاكل وهمية فنشعر بنفس الأمراض والمشاكل التي تعانيها تلك الأمم".[2]

---

[1] ميشل عفلق، في سبيل البعث، مرجع سابق، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 137، 138.

إن القومية التي تأتينا من أوربا هدفها هو القضاء على الهوية العربية ومحو التاريخ العربي وتشويهه، إلا أن شباب اليوم يعتقدون أن تلك القومية التي تأتينا من أوربا يمكنها أن توصلنا إلى ذلك التقدم والرقي الذي شهده الغرب وربما في لمح البصر، إلا أن ذلك يجعل من العرب يرثون فقط تلك المشاكل والانحرافات التي يعانون منها لأن أوربا تأخذ لب الحضارة وترمي إلينا بالقشور.

"فقوميتنا لا تزول بإرادتنا، ولكنها في الوقت نفسه لا تستمر ولا تتحقق تحققا كاملا بدون هذه الإرادة ".[1]

2/- ساطع الحصري:

ومن المفكرين الذين تأثروا بالكواكبي ساطع الحصري، إن ساطع الحصري هو أيضا من المفكرين الذين تطرقوا لموضوع الوحدة العربية وإلى فكرة القومية، بحيث يقول "إني أعتقد أن أول ما يجب عمله لتحقيق الوحدة العربية. في الأحوال الحاضرة هو إيقاظ الشعور بالقومية العربية وبث الإيمان بوحدة هذه الأمة".[(2)]

إن شعور العرب بالقومية هو وحده الذي يمكنه دفع العرب إلى تحقيق تلك الوحدة العربية والقضاء على جميع تلك الفروقات والعوائق التي تقف أمام تحقيق ذلك فالبلاد العربية "مهما تعددت الدول التي تحكمها. ومهما تنوعت الأعلام التي ترفرف على بناياتها الحكومية، ومهما تعرجت وتشابكت الحدود التي تفصل بين أقسامها السياسية إلا إنها بلاد عربية".[3]

إن انقسام البلاد العربية إلى مناطق ومقاطعات، وانفراد كل منطقة بسياسية حكم معينة واتخاذ كل منها علم يرمز لها ويختلف عن علم المنطقة الأخرى لا يجعل من

---

[1] ميشل عفلق، في سبيل البعث، مرجع سابق، ص 189.

[2] ساطع الحصري، العروبة أولاً، ص 06.

[3] المرجع نفسه، ص 10.

تلك المناطق مناطق غريبة عن بعضها البعض، بل إن البلاد العربية هي واحدة بحيث يشترك جميع سكانها في اللغة العربية.

إن" العرب أمة واحدة، وما المصريون والعراقيون والمغاربة...إلا شعوب وفروع لأمة واحدة هي الأمة العربية"[1]

إن العرب هم الذين يتكلمون باللغة العربية، وكلهم يمثلون أمة واحدة تعرف بالأمة العربية، ثم إن تلك التسميات والتقسيمات لتلك المناطق كلها نتجت بفعل الاستعمار الذي قسم البلاد العربية إلى تلك المقاطعات "لقد كانت اللغة العربية فعلا. ولا تزال العنصر الرئيسي، ولربما الوحيد الذي يجمع بين الشعوب العربية التي تزخر بالأقليات الدينية والعرقية ولا تتمتع أقطارها بوحدة طبيعية واقتصادية كافية. كانت اللغة العربية ولا تزال الرابطة العامة التي تجمع كافة سكان العالم العربي من المحيط إلى الخليج، الرابطة التي تتضاءل فيها الاستثناءات إلى درجة الصفر بخلاف الروابط الأخرى، الأرض، الاقتصاد، الدين، التاريخ...إلخ".[2]

على الرغم من اختلاف الشعوب العربية في بعض العادات والتقاليد وعلى الرغم من تلك الأقطار العربية لا تتمتع بتلك الوحدة الطبيعية والاقتصادية إلا أن اللغة العربية كانت منذ القدم ولا تزال إلى يومنا هذا القاسم المشترك بين تلك الشعوب العربية.

"من أجل ذلك لم يكن غريباً أن يرتكز المفكرون القوميون العرب على اللغة كرابطة قومية أساسية، بل وحيدة، ويجعلوا من التاريخ توأماً لها أو مضمونها الحي، بل ليس غريباً بالنظر لما ذُكر أن يحاول بعض هؤلاء المفكرين، ممن هم أكثر تحمساً

---

[1] ساحل الحصري، العروبة أولا، ص 13.

[2] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت 1982، ص109.

للوحدة العربية بناء نظرية "عربية" في القومية على أساس –اللغة –التاريخ ،على أساس "اللغة روح الأمة وحياتها، والتاريخ وعي الأمة وشعورها".[1]

لقد وضع المفكرين القوميين التاريخ في نفس تلك المرتبة التي وضعوا فيها اللغة العربية، بحيث قام هؤلاء المفكرين في بناء نظريتهم حول الوحدة العربية على أساس اللغة والتاريخ فاعتبروا اللغة روح الأمة والتاريخ يمثل وعي تلك الأمة ولا تزال هذه الفكرة سائدة غلى يومنا هذا.

يرى ساطع الحصري "أن التفكير السياسي العام تطور كثيراً خلال القرنين الماضيين، فكان من الطبيعي أن يتطور مفهوم الأمة* في أذهان الباحثين تبعاً لتطور التفكير السياسي العام"[2].

لقد تطور التفكير السياسي في العصور الحديثة عما كان عليه من قبل، إن هذا التطور الحاصل جعل الباحثين والمفكرين بمفهوم المعنى الحقيقي للأمة، وبالتالي أصبحوا يفكرون في موضوع القومية الذي يتصل بسياسة دولهم.

اعتبر ساطع الحصري اللغة العربية من أهم المقومات الأساسية التي تتأسس عليها القومية وبالإضافة إلى اللغة هناك عامل آخر لابد منه الإشارة إليه وهو المتمثل في الدين الذي يعتبر أساس من أسس تكوين الأمة "هذه النظرية قد شغلت موقعا هاما في التفكير السياسي الذي ساد البلاد الإسلامية بوجه عام، والبلاد العربية بوجه خاص، مدة طويلة، ولا تزال توجه أذهان وأقلام بعض الكتّاب في مختلف البلاد العربية".[3]

---

[1] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 109-110.

*الأمة: اسم جمع استعمل للدلالة على كمية كبيرة من الناس الذين يعيشون على قطعة من الأرض داخل حدود معينة ويخضعون لحكومة واحدة.

[2] ساطع الحصاري، ماهي القومية، مرجع سابق، ص40.

[3] المرجع نفسه، ص65.

يعد الدين قوام الأمة وأساس تطورها، بحيث يقوم الدين بتنظيم حياة المجتمعات، ويعد الدين أيضا عامل مشترك بين أفراد الأمة لتحقيق وحدتها وقوميتها.

3/ عبد الحميد بن باديس الجزائري:

لقد لفكر عبد الرحمن الكواكبي أثر بلغ جميع أرجاء الوطن العربي وأثّر في كل الناطقين بالضاد، فقد وصل تأثيره حتى إلى الجزائر فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست على يد عبد الحميد بن باديس* المستقبل والمتلقي لفكره الإصلاحي خصوصا ما تعلق فكرة القومية أو الوحدة العربية التي نادى بها عبد الرحمن الكواكبي، ولعل أبرز من تأثر بهذه الفكرة هو عبد الحميد بن باديس وهذا ما سنتطرق إليه في هذا العرض.

"إن ابن باديس هو علم من أعلام المجاهدين في المغرب العربي الكبير، ويصنف عند الكثيرين من العلماء والمفكرين البارزين في الشرق والغرب، رائدا من رواد النهضة العربية الإسلامية الحديثة، وداعية مجتهد ومصلح إسلامي كبير، سار على خطى السلف وكبار المصلحين المجددين النهضويين سواءا ممن عاصرهم، أو ممن عاصر آثارهم التي كانت مازالت صداها حاضرة كأصحابها في أرجاء العالمين العربي والإسلامي.[1]

لقد حارب عبد الرحمن الكواكبي الجمود والخرافة "وأخطر آفات الجمود عنده أنه جعل المسلمين صورة مقلدة ونسخة مستعارة، فهم مسلمون بالتبعية وليسوا مسلمين

(*عبد الحميد ابن باديس: ولد عبد الحميد ابن باديس بمدينة قسنطينة سنة 1307ه الموافق ل 1889م، والده السيد محمد مصطفى بن مكي بن باديس حافظ القران، أسرته كانت مشهورة في شمال إفريقيا نبع فيها عظماء الرجال وكانت تجمع بين العلم ورجاله، نشا في احضان تلك الاسرة العريقة في العلم والجاه، انظر: عبد الحميد بن باديس (رحمه الله) وجهوده التربوية ص21-22.

[1] فهمي توفيق محمد مقبل –عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث(1307-1359ه/1779-1940م)، ص27.

بالأصالة، يدينون بالإسلام انقيادا منهم لمن تقدمهم ولا يحسبون أنهم أهل للخطاب على حدتهم".[1]

ومن خلال هذا نرى أن عبد الرحمن الكواكبي قد حارب ذلك التقليد الأعمى الذي أصبح يسير عليه المسلمين مما جعلهم يتخبطون في الجهل والتخلف وبذلك نجد أن عبد الحميد بن باديس ينطلق من نفس هذه النقطة ف" قد أعطى القومية العربية منذ(1355ه-1936م) نفس المحتوى الذي يتجه نحو الفكر العربي التقدمي الحديث الآن...لا غرور إذا، إذ نجد ابن باديس ينادي بالإسلامي المنفتح على قضايا العصر، ويحارب الإسلام الوراثي الذي لا يمكن أن ينهض بالأمة، ويرى أن الإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد فلا فكر فيه ولا نظر".[2]

من الضروري الإشارة أن عبد الحميد ابن باديس قد تطرق إلى موضوع القومية العربية، متأثرا بذلك بفكر من سبقه من المفكرين العرب، فهو يرى بأن الجمود والخرافة والانغلاق لا يمكنه أن ينهض بالأمة، لذلك نجده يدعوا إلى الإسلام المنفتح الذي يمكنه أن يواكب قضايا العصر وهذه النقطة قد سبقه إليها عبد الرحمن الكواكبي في مشروعه الإصلاحي.

لقد "أعطى ابن باديس، ولم يبخل -كرائد من رواد الإصلاح المجددين- لوطنه الجزائر كل أسباب النهضة والترقي، معبرا بحركته ودعوته عن آمال شعب الجزائر وطموحاته، بل تجاوز شعاع دعوته ليصل البلاد العربية الإسلامية المجاورة وغير المجاورة...."[3]

---

[1] عباس محمد العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مرجع سابق، ص115.

[2] فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1307-1359ه/1779-1940م)، مرجع سابق، ص27.

[3] المرجع نفسه، ص21.

لقد ساهم ابن باديس بإرساء كل معالم التقدم والتحرر والنهضة في الجزائر، إلا أن دعوته هذه لم تنحصر فقط في وطنه الجزائر، بل تعدى ذلك لتصل دعوته إلى مختلف أرجاء البلاد العربية وبذلك نجده يقول "ليس ما ندعو إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح بالأمر الذي يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه كلا، فإن صحة العقيدة واستنارة الفكر، وطهارة النفس، وكمال الخلق، واستقامة العمل هذا هو الإصلاح كله مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان، وإنما نذكر الجزائري لإشعاره بوجوده، فيعمل لإسلامه وجزائريته فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجموع".[1]

لقد ذكر عبد الحميد بن باديس بعض القيم والصفات التي تكون أساس الإصلاح والتقدم وأشار إلى أن هذه المبادئ لا تخص الجزائري وحده بل تخص كل العالم العربي الإسلامي وبذلك يمكن للجميع الانتفاع بها ويشير إلى أن ذكره للجزائري هو فقط كي يشعر بوجوده، فيقدم على السعي والمثابرة من أجل تحقيق نهضة وطنه.

لقد أكد عبد الرحمن الكواكبي أثناء دعوته إلى الوحدة العربية على أن العرب مشتركون في خاصية اللغة، الدين، التاريخ، والوحدة أمر ضروري من أجل تحقيق النهضة، فكان لعبد الحميد ابن باديس نفس النظرة "ولهذا نجد أن ابن باديس يعني عناية كبيرة بكل ما يتصل بالعرب، ويقول كلمته في جميع قضاياهم، سواء منها ما تعلق بالتاريخ، أو تناول الأحداث الحالية، ويحدد في كل مناسبة أسلوب العمل اللازم لتحقيق هدف العرب في الاستقلال والوحدة".[2]

يؤكد عبد الحميد بن باديس على أن التاريخ عنصر مهم وأساسي يشترك فيه جميع العرب، لذلك نجده يهتم كثيرا بكل الأمور أو العناصر التي تجمع العرب ويشدد

---

[1] فهمي توفيق محمد مقبل- عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1307-1359ه/1779-1940م)، ص22.

[2] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، الجزائر عاصمة للثقافة العربية 2007، ص57.

على ضرورة الاتحاد والعمل معا لتحقيق الاستقلال والتقدم، ويدعوا الشعب إلى الرجوع "إلى عقائد الإسلام المبنية على العلم، وفضائله المبنية على القوة والرحمة، وأحكامه المبنية على العدل والإحسان ونظمه المبنية على التعاون بين الأفراد والجماعات والتآلف والتعاون، و أن لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله ومن اتقى الله فهو أنفع الخلق لعباد الله".[1]

يتضح لنا من خلال هذا أن عبد الحميد ابن باديس يدعوا العرب دائما بالرجوع إلى عقائد الإسلام، كون الإسلام يمثل الحل لكل مشاكل الإنسانية وفيه صلاح الأمم.

لقد دعى عبد الرحمن الكواكبي إلى ثورة العرب ضد الحكام والسلاطين العثمانيين (الأعاجم) ورأى أنّهم لا يخدمون الدين الإسلامي ولا يطبقون تعاليمه مما أدى جعل العرب يعيشون تحت استبداد هؤلاء السلاطين، ومن هنا نجد أن ابن باديس ربما يشترك مع الكواكبي في هذه النقطة، فهو يرى أن من اتقى الله فهو انفع الخلق لعباد الله.

ومن خلال هذا نستنتج أن عبد الحميد بن باديس انطلق من أرضية إسلامية وقدوته في ذلك كان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، ومن خلال هذا فإن "إطار القومية العربية كان واضحا عند ابن باديس، فقد كتب في جوان 1936 بمناسبة ذكرى المولد النبوي مقالا بعنوان "محمد رجل القومية العربية" وهو يفسر هذه التسمية ويعللها تعليلا منطقيا دقيقا إذ يقول فمحمد صلى الله عليه وسلم وآله وسلم هو رسول الإنسانية كانت أول عنايته موجهة إلى قومه وكانت دعوته ترتيب حكيم بديع لا يمكن أن يتم إصلاحا إنسانيا أو شعبيا إلا بمراعاته".[2]

---

[1] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس (رحمه الله) وجهوده التربوية، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بولاية قطر، ط1، محرم 1418ه-1997م، ص184.

[2] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق، ص55.

فالنبي عليه الصلاة والسلام هو رجل القومية العربية، بحيث جاءت دعوته موجهة إلى قومه يدعوهم فيها إلى الإصلاح والتقدم ومحاربة الجهل والتخلف، وشدد على أن المسلمين إخوة فهو بذلك دعاهم إلى الوحدة.

إذن "هذا هو رسول الإنسانية ورجل الأمة العربية الذي نهتدي بهديه ونخدم القومية العربية خدمته ونوجهها توجيه، ونحيا لها ونموت عليها".[1]

ومن خلال هذا نستنتج في الأخير أن فكر الكواكبي كان له تأثيرا كبيرا في سائر أرجاء العالم العربي، وإن مشيل غفلة وساطع الحصري وعبد الحميد ابن باديس الجزائري ما هي إلا نماذج من المفكرين اللذين تأثروا بفكره خصوصا بفكرة القومية العربية.

[1] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق ، ص56.

خاتمة

يعد عبد الرحمن الكواكبي من رواد عصر النهضة العربية التي أطلقت تسميتها على الفترة الممتدة من القرن التاسع عشر حتى العقد الرابع من القرن العشرين، فهو بذلك يمثل ظاهرة تكاد تكون فريدة من نوعها في الفكر الحديث،كما أنه يمثل صوت الحق الذي يعلوا في وجه السلطة الظالمة، كما أنه حمل سيف الكلمة الصادقة مدافعاً عن حقوق أبناء أمته و موقضاً لهم من غفلتهم. ومن خلال معالجتنا لموضوع المشروع النهضوي عند عبد الرحمن الكواكبي توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات:

إن المشروع النهضوي الإصلاحي الذي جاء به الكواكبي لم يأت من العدم بل كان نتاج جهود مفكرين سابقين من أمثال محمد عبده و جمال الدين الأفغاني، و غيرهم ممن تركوا أثرهم فيه لأن كل جيل يجد أمامه منجزات جيل سابق و من خلال هذا نستنتج أن فكره كان تتمة لأفكار مختلف المفكرين العرب في عصر النهضة العربية التي تزامنت بوادرها الأولى مع حملة نابليون بونبارت على مصر، بحيث ساهم هذا الأخير بنقل مختلف معالم الحضارة الغربية إلى الشرق، وهناك من ردّ بوادرها إلى إصلاحات محمد علي باشا الذي كان يسعى إلى إقامة دولة حديثة تضاهي التقدم الذي شهدته دول الغرب.

وقد ساعد على قيام النهضة العربية عدة عوامل تمثلت في الإستشراق، حركة الترجمة، تأثر العرب بالغرب و غيرها، كما ظهرت أيضاً عدة اتجاهات نادت باليقظة العربية، و ساهمت بأفكارها التنويرية التي كان لها أثر إيجابي في أوساط الأمة العربية، و التي أثبتت للعرب بأن هناك أمم أكثر تقدماً و إنتاجاً.

وبذلك فإن عبد الرحمن الكواكبي كان له في طليعة أولئك المفكرين اللذين حاولوا زرع نظرة تحديثية من أجل النهضة و المستقبل، بحيث شملت انجازاته النهضوية جميع المجالات. فقد عانى و قومه العرب من استبداد السلطة العثمانية التي كانت تحكم باسم

الإسلام، لذلك رأيناه يحاول جاهداً من خلال مؤلفاته إلى تشخيص الداء الذي لحق بالأمة العربية محاولاً بذلك إيجاد الدواء الشافي و الحل لتلك الأزمة.

كما قضى على رواسب التخلف و الجهل الذي لحق بالأمة العربية من قبل بعض السلف الجامدين الذين ظل فكرهم منغلق و متشدد.

لقد كان حلم عبد الرحمن الكواكبي يتمثل في إقامة وحدة عربية و إقامة دولة عربية يحكمها حاكم عربي ينتمي إلى أهل الجزيرة العربية كونها تمثل مركز الإسلام.

لقد واجه مفكرنا هذا عدة صعوبات وعراقيل أثناء مسيرته جعلته يهجر موطنه وأسرته في سبيل نشر أفكاره الإصلاحية، فقد حكم عليه بالإعدام، كما أنه تعرض للاغتيال مرات عديدة لينتهي به المطاف بالموت مسموماً.

يقال بأن كل جيل يجد أمامه منجزات جيل سابق، وبالتالي هناك صورة استمرار لذلك و هناك صورة قطيعة مع الماضي إلا أن فكر عبد الرحمن الكواكبي كان يمثل صورة استمرار لفكر من سبقه.

على الرغم من مرور حوالي مئة و أربعة عشر سنة على اغتياله، إلا أننا نجده حاضراً معاصراً لنا و ينطق بهموم زمننا التي هي هموم زمنه، فقد حارب الاستبداد السياسي الناتج عن الاستبداد الديني الذي ساد عصره، إلا أن هذا الاستبداد لا زال سائداً في عصرنا الحالي، وبالتالي نجد أن تأثير فكره كان ولا زال مستمراً إلى يومنا هذا، ولا زال بعض المفكرين والمصلحين يعتمدون على مؤلفاته وأفكاره في معالجة قضايا عصرنا الحالي، بحيث لا يمكن لأي مفكر أن يتجاهل تلك الإصلاحات النهضوية التي جاء بها عبد الرحمن الكواكبي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش.

المصادر:

1. السيد الفرائي، أم القرى، المطبعة المصرية بالأزهر، 1931م

2. عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع.

قائمة المراجع:

1. أحمد البرقاوي، محاولة في قراءة عصر النهضة(الإصلاح الديني، النزعة القومية)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط2، 1999.
2. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبوريدة، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، دط،
3. إسماعيل إبراهيم، شخصيات صنعت التاريخ في البطولات والفداء والنهضة الفكرية، عالم الكتب، للنشر وتوزيع وطباعة/ ثروت، القاهرة، ط1، 1424-2003.
4. بلال نعيم، الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد، قراءة في فكر النهضة، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1425ه-2004.
5. ثائر الحلاق، محاضرات في الفكر المعاصر "قضايا وأعلام"، دار العصماء للطباعة والنشر، ط1، 1435-2014.
6. جمال طحان، أعمال الكواكبي غير الكاملة، ج1، بدون طبعة ودار نشر
7. حسن السعيد، رواد الإصلاح، عبد الرحمن الكواكبي، جدلية الاستبداد والدين، مكتبة مؤمن قريش للنشر، ط1، 1421-2000.

8. خالد زيادة، عصر النهضة، مقدمات ليبرالية للحداثة، مؤسسة رينا معوض، المركز الثقافي العربي، مؤسسة فريديريش ناومان/ط1، سنة 2000.
9. ساطع الحصري، العروبة أولاً، بدون طبعة ودار نشر.
10. ساطع الحصري، ماهي القومية؟، بدون طبعة و دار نشر.
11. السفير محمد أمين جبر، أصول النهضة الإسلامية، الطريق إلى الدولة العصرية الحديثة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 1425-2004.
12. صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 2001.
13. عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998.
14. عبد العزيز نوار، النهضة العربية الحديثة، حركة علي بك الكبير، التنافس الاستعماري، الحملة الفرنسية على مصر، صعود الدولة السعودية الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، للنشر والتوزيع، ط1، 2002.
15. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1987، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية الأهلية، للنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 1987.
16. فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح و النهضة في تاريخ الحديث(1307-1359/1779-1940).
17. القاضي سعد زغلول الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، السيرة الذاتية، بيسان للنشر والتوزيع، ط1، 1998.
18. لطيفة عميرة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري(1889-1940)، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

19. ماجدة حمود، عبد الرحمن الكواكبي فارنس النهضة والأدب دراسة، إتحاد الكتاب العرب للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دط، 2001.
20. مارون عبود، رواد النهضة الحديثة، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2012.
21. محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر،الجزائر العاصمة للثقافة العربية، دط، 2007.
22. محمد خالد، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، موفم للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2000.
23. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت،1982.
24. محمد عمارة، في التنوير الإسلامي 68 الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيا؟!، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.
25. مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس(رحمه الله)،وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بولاية قطر 16محرم 1418-1997، دط، دت.
26. ميشل عفلق، في سبيل البعث، الكتابات السياسية الكاملة، ج1.
27. نديم نعيمة، عصر النهضة، مقدمات ليبرالية للحداثة، مؤسسة رينا معوض، المركز الثقافي العربي، مؤسسة فريديريش ناومان ط1، 2000.

المعاجم والقواميس

1. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب،

2. بطرس البستاني، محيط المحيط، مج9، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2009.

الموسوعات

1. سمير أبو حمدان، عصر النهضة، عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد، الشركة العالمية للكتاب– ش.م.ل– للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1413–1992.

الرسائل

1. أسماء بن حركات، مليكة بن حركات، النهضة العربية في مصر محمد علي أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، علوم الانسانية، تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي/ كلية العلوم الانسانية/ جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة 2015/2014.

فهرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

كلمة شكر	
إهـــداء	
ملخص	
مقدمـــة	أ-د
الفصـــل الأول: النهضة وسياقها التاريخي	
المبحث الأول: السياق المفاهيمي و التاريخي للنهضة	08
المطلب الأول: مفهوم النهضة	08
المطلب الثاني: بوادر ظهور النهضة العربية	10
المبحث الثـــاني: النهضة عبر التاريخ	13
المطلب الأول: أبرز الاتجاهات التي نادت بالنهضة	13
المطلب الثاني: النهضة عند المفكرين العرب	21
المطلب الثاني: العوامل التي أدت إلى ظهور الفكر النهضوي العربي	32
الفصـــل الثاني:المشروع النهضوي عند عبد الرحمن الكواكبي	
المبحث الأول :أضواء على فكر وشخصية عبد الرحمن الكواكبي	40
المطلب الأول: حياة وعصر عبد الرحمن الكواكبي	40
المطلب الثاني: مؤلفاته:	45
المبحث الثاني :الاصلاح والتغيير عند الكواكبي	54
المطلب الأول: في المجال الديني:	54
المطلب الثاني: في المجال السياسي:	65
المبحث الثالث: أثر مشروع فكر الكواكبي في الفكر العربي	78
المطلب الأول: الدولة	78
المطلب الثاني: الوحدة العربية:	82
المطلب الثالث: أثر الكواكبي في الفكر العربي	87
خاتمة	101
قائمة المصادر والمراجع	104
فهرس المحتويات	109